

دار
الشروق



المكتبة
الكلاسيكية

ويليام شكسبير
حلم ليلة
في منتصف الصيف

ترجمة: حسين أحمد أمين



دار الشروق

مقدمة

(١)

نبدأ بالعنوان المضلل للمسرحية ، وهو الذى يوحى بأن أحداثها وقعت فى منتصف الصيف ، بينما الواضح من النص أنها وقعت فى الفترة ما بين ٢٩ إبريل وأول مايو . فى الفصل الرابع يتحدث ثيسوس عن العشاق الأربعة فيقول :

« لابد أنهم استيقظوا فى ساعة مبكرة للاحتفال مثلنا بمطلع الفجر ، وأداء طقوس عيد أول مايو ، وأن يكونوا قد علموا بنيتنا الخروج فجاءوا لاستقبالنا » .

فى الغابة قضى العشاق إذن ليلة ٣٠ إبريل وصبيحة أول مايو . وإذ كان ليساندر قد طلب من هيرميا فى المشهد الأول من الفصل الأول أن تهرب معه إلى الغابة « غدا فى الليل » ، فلا بد من أن تكون أحداث المسرحية قد بدأت يوم ٢٩ إبريل . وفى ذلك المشهد يُمهّل ثيسوس هيرميا حتى يوم زفافه إلى هيبوليتا لتقرر ما إذا كانت تقبل الزواج من ديميتريوس . وحيث أنه فى الفصل الرابع (أى يوم عيد أول ما يو) نسمعه يسأل إيجيوس : « أليس اليوم هو اليوم المحدد لإدلاء هيرميا بردها وقرارها ؟ » ، فيجيبه إيجيوس بالإيجاب ، فلا بد من أن يكون حفل الزفاف فى ختام المسرحية قد تم فى ذلك اليوم .

غير أن ثيسوس فى مشهد المسرحية (أى يوم ٢٩ إبريل) يتحدث عن زفافه الذى سيُحتفل به « بعد أربعة أيام » (أى فى ٣ مايو) ، وهو ما يوحى بأن المؤلف قد

أنتاج (جدران المعرفة) للنشر الإلكتروني المجانى
للمساهمة معنا Theknowledge_walls@yahoo.com

عدّل من مسار أحداث المسرحية أثناء كتابته لها ، ونسى تصحيح عبارة « بعد أربعة أيام » في مستهلّها .

فأحداث المسرحية إذن لا تقع لا في منتصف الصيف ، ولا حتى في شهر من شهور الصيف . والكثير من ترجمات المسرحية إلى اللغات غير الإنجليزية تغفل من العنوان كلمة « منتصف » وتجعله « حلم ليلة صيف »^(١) . غير أننا الاحتفاظ بالعنوان كما هو ، على أساس أنه ربما كان شكسبير قد أسأها هذا الاسم لأن حفل الزفاف الذي عُرضت المسرحية أثناءه لأول مرة تمّ في منتصف الصيف ، (وإن لم يكن ثمة دليل على ذلك) ، أو لأنها شبيهة بالأحلام الغريبة التي يراها النائم في ليالي منتصف الصيف بتأثير شدة حرارة الجو .

(٢)

أما تاريخ كتابة شكسبير لهذه المسرحية فحوالى عام ١٥٩٥ ، حين كان في نحو الحادية والثلاثين . فإن كان الشك لا يزال يحيط بتاريخ كتابته لمسرحياته ، خاصة تلك التى كتبت قبل عام ١٥٩٨ ، فبوسعنا أن نذكر فى شىء من الاطمئنان أن السنوات فيما بين ١٥٩٤ و ١٥٩٦ شهدت تأليف المسرحيات التالية :

« سيدان من فيرونا » - « خاب مسعى العشاق » - « روميو وجوليت » - « ريتشارد الثانى » - « حلم ليلة فى مُنتصف الصيف » . وثمة فى المشهد الأول من الفصل الثانى حديث طويل لنتانيا ملكة الجن - لا دخل له على الإطلاق بأحداث المسرحية - عن اضطراب نظام الفصول وما نجم من كوارث عن تقلب الطقس ، يوحى بأنه وصف للأحوال الجوية الشنيعة التى سادت انجلترا عام ١٥٩٤ ، والتى تحدّثت عنها عدة مصادر معاصرة وصلت إلى أيدينا .

وقد صدرت الطبعة الأولى من المسرحية عام ١٦٠٠ ، أثناء حياة المؤلف ،

وبترخيص من فرقته . ثم ظهرت الطبعة الثانية عام ١٦١٩ (بعد وفاته بثلاث سنوات) ، وإن كان قد كُتب على غلافها كَذِبًا أنها طبعت عام ١٦٠٠ . وهى طبعة صحّحت أربعة أخطاء مطبعية وردت فى الطبعة الأولى ، واحتوت على أكثر من ستين خطأ جديدًا . وإلى هذه الطبعة الثانية الرديئة استندت طبعة الفوليو الأولى عام ١٦٢٣ الحاوية لكل مسرحيات شكسبير (عدا مسرحية بركليس) . . . وحيث إن الطبعة الأولى قد اعتمدت على مسودة بخط المؤلف ، فهى أجدر الطبقات القديمة بالثقة ، ولا تثير من المشكلات ما تثيره معظم المسرحيات الأخرى التى لم تطبع إلا بعد وفاة شكسبير . . . ومن الشائق أن نذكر هنا أن المؤلف وفرقته المسرحية لم يكن من مصلحتهما عادة نشر التمثيليات التى يقدمانها على المسرح فى كتب ، حتى لاتستخدم النصّ المطبوع فرق أخرى ، وحتى لا يؤثر طبعها فى إقبال الجمهور على مشاهدتها . فالمسرح كان ههنا الأول والأخير . غير أن إعجاب الناس بشكسبير دفع بعض الناشرين أثناء حياته إلى بذل الجهود سرًا للحصول على نصوص مسرحياته لطبعها ، وإلى رشوة بعض ممثلى الأدوار الثانوية حتى يُملوا عليهم النصوص كما وعتها ذاكرتهم .

ويكاد يكون مؤكدًا أن المسرحية أُلّفت كى تمثل أثناء حفل عُرس ، وإن كان ثمة خلاف حول هوية صاحب الحفل ، وحول ما إذا كانت الملكة إليزابيث الأولى من بين المدعويين إليه . فحديث ملك الجان الطويل فى ختام المسرحية الذى يدعوه فيه للعروسين باليمن والبركات ، ولنسلهما بالحظ السعيد ، ولصاحب الدار بالخير والسورر ، لا يكاد يكون له مبرر غير تمثيل المسرحية أثناء حفل زفاف . أما عن حضور الملكة إليزابيث الحفل فىرى البعض فى ذلك استحالة مع ما ورد فى الفصل الأول من استنكار لحياة العزوبة (وقد بقيت إليزابيث طيلة حياتها دون زواج) ، فى حين يرى الآخرون أن ثناء أوبيرون ، ملك الجان ، على إليزابيث فى الفصل الثانى يوحى بأنها كانت من بين الحاضرين فى العرض الأول للمسرحية .

(١) هو فى الفرنسية مثلاً Le songe d'une nuit d'été فى ترجمة فرانسوا فيكتور هيجو .

السابقة إلى المصادر أن ثمة في المسرحية أربع مجموعات من الشخصيات : نيسوس وهيبوليتا - العشاق الأربعة (هيلينا وديميتريوس ، وهيرميا وليساندر) - الجن - العمال . فإن كانت المسرحية تبدأ بحديث بين نيسوس وخطيبته هيبوليتا عن زواجهما المرتقب ، فهي تنتهي باجتماع كافة أفراد المجموعات - مع ما لكل منها من شواغل خاصة - في حفل الزفاف .

ولا تنحصر عبقرية شكسبير في استطاعته التوفيق والجمع بين كل تلك العناصر المتنافرة في بناء تمثيلي واحد ، وإنما تتعداها إلى قدرته على خلق جو سحري يُغلف المسرحية كلها ، (وهو ما يُعتبر عنوان المسرحية ، « حلم ليلة في منتصف الصيف » ، مفتاحاً له وتعبيراً عنه) ، وكذا مهارته في المزج بين الكلاسيكية والرومانسية والواقعية في تناوله لأحداثها ، وتنقله الرائع السلس بين استخدام العمال للنثر ، والعشاق للشعر المُقَمَّى . والنبلاء للشعر المنثور ، والجن للأغاني . فإن كانت كافة شخصيات المسرحية - فيما عدا بوتوم ، وربما بك أيضاً إلى حد ما - باهتة المعالم (بحيث يمكن الحديث مثلاً عن ليساندر وديميتريوس بأنهما العاشق رقم ١ والعاشق رقم ٢) ، فإن إتقان تصوير الشخصيات لم يكن هدف المؤلف ، وإنما كان هدفه خلق جو متميز من السحر عن طريق التحليق في سماء الخيال ، مما لا يدع حاجة أو داعياً إلى العناية بتصوير الشخصيات . وهو ما يذكّرنا إلى حد ما بمسرحيات تشيخوف وقصصه التي يظل جوّها ، لا شخصياتها ، هو العالق دوماً بذاكرة المشاهد أو القارئ .

(٤)

كتب صامويل بيبس في يومياته بعد نحو نصف قرن من وفاة مؤلف « حلم ليلة في منتصف الصيف » ، يقول :

٢٩ سبتمبر ١٦٦٢ :

« قصدتُ مسرح كينجز حيث شاهدت « حلم ليلة في منتصف الصيف » التي لم أشاهدها من قبل ، ولن أشاهدها أبداً مرة أخرى . فهي أسخف وأتفه مسرحية

أما عن المصادر التي استقى منها شكسبير عناصر مسرحيته فمتعددة ، رغم أن البناء والحبكة له ، ورغم أنه استوحى الكثير من خبراته الخاصة ومن ذكريات شبابه الأول في ستراتفورد . . . فقصّة الاحتفال بزواج نيسوس من هيبوليتا ملكة الأمازونيات ، مأخوذة من « قصة الفارس » الواردة في « حكايات كانتربوري » لشوسر ، ومن ترجمة بلوتارك لحياة نيسوس . فإن كان شكسبير قد استقى فكرة مسرحية « سيدان من فيرونا » من قصة الكاتب الأسباني مونتيايور « ديانا » (١٥٥٩) ، وتكتملتها التي ألفها جاسبار جيل بولو عام ١٥٦٤ وأسماها « ديانا العاشقة » ، فقد عاد إلى استلهاهم أحداثها في « حلم ليلة في منتصف الصيف » ، فيما يتعلق بمطاردات العشاق في الغابة ، وتعاويد الحب التي أثرت في العلاقات بين هيرميا وهيلينا ، وليساندر وديميتريوس .

وقد أخذ شكسبير قصة بيراموس وثيسبي التي مثلتها جماعة العمال في حفل زفاف نيسوس من كتاب « مسخ الكائنات » للشاعر اللاتيني أوفيد . أما العمال الستة أنفسهم (بمن فيهم النساج بوتوم ، وهو أطرف شخصيات المسرحية وأحسنها تصويراً وأكثرها إشاعة لجو المرح فيها) ، فمن خلق شكسبير وحده . وأما الجنّ الصغير بك (المعروف في الريف الإنجليزي باسم رويين جودفيلو) وكذا سائر الجن ، فقد استوحى شكسبير في تصويرهم الأدب الشعبي الإنجليزي ، وكتاب ريجينولد سكوت « اكتشاف السحر » الصادر عام ١٥٨٤ . ومن هذا الكتاب أيضاً ومن رواية « الجحش الذهبي » لأبيولوس (١٢٤ - ١٧٠ م) ، أخذ شكسبير فكرة رأس الجحش التي وضعها الجنّ بك مكان رأس بوتوم . ومن هذه المصادر وغيرها نقل المؤلف اسميّ أوبيرون وتيتانيا وبعض الأفكار عن رقصات الجن وأغانيمهم ، وفكرة استخدام كوينس الخاطئ للنقط والفواصل ، مما يحدث اضطراباً يُفسد المعنى ، وقد يعكسه .

بيد أن المعجزة الحقيقية التي حققها شكسبير في هذه المسرحية (كما في الكثير من مسرحياته الأخرى) تتمثل في خلقه وحدة واحدة بالغة الانسجام والسلاسة والعدوبة من كل هذه العناصر التي استوحاها من مصادر عدّة . وتوضّح إشارتنا المختصرة

شاهدتها في حياتي . وكان استماعي الوحيد هو ببعض الرقصات فيها ، وبجمال بعض الممثلات !

غير أن المؤكد من تاريخ المسرحية منذ عرضها الأول وحتى يومنا هذا أنها كانت دوماً من أحب مسرحيات شكسبير إلى قلوب القراء والمشاهدين ، بل وإلى كبار الشعراء من أمثال ميلتون وكيتس . يشهد على ذلك إقبال الموسيقيين على تلحين عدة أوبرات مستقاة منها ، أشهرها أوبرا هنرى بورسيل (عام ١٦٩٢) المعروفة باسم «ملكة الجان» ، وأوبرا بنجامين بريتين « حلم ليلة في منتصف الصيف » عام ١٩٦٠ ، وقيام مندلسون بكتابة افتتاحيته الموسيقية الشهيرة للمسرحية عام ١٨٢٦ ، وماكس راينهاتر بتحويلها إلى فيلم سينمائي عام ١٩٣٥ ، والمخرج المسرحي الشهير بيتر بروك بإخراجها لإخراجاً فريداً في بابها عام ١٩٧٠ لتقديمها على المسرح في ستراتفورد بلدة شكسبير ، وتوالى عرضها عاماً بعد عام في الهواء الطلق بحديقة ريجينيس بارك في لندن . . كل هذا بالرغم من أنه نادراً ما وُقِّع مخرجٌ للمسرحية طوال القرون الأربعة التي مرت على تأليفها (١٥٩٥ - ١٩٩٥) إلى تحقيق التوازن المثالي بين العناصر المختلفة فيها . ويقول النقاد اليوم إن هذه المسرحية كانت من أحظى مسرحيات شكسبير بالشعبية والنجاح في القرن العشرين .

* * *

فإن كان لا بدّ من الإشارة إلى محور رئيسي للمسرحية ، فهو الأنماط المختلفة من الحب ، وما تحفّ بالحب عادة من متاعب وصعاب . . ففي المشهد الأول من الفصل الأول :

ليساندر : واحترّ قلبه ! ما قرأت من شيء ولا سمعتُ من القصص والتاريخ إلا فهمتُ منه أن طريق الحب هو دوماً محفوف بالمصاعب والأشواك . . . فتمة إما تفاوت المكانة الاجتماعية بين الحبيبين . . .

هيرميا : ما أضخمها من عقب تحول دون وُصِّل المغمورين !

ليساندر : أو تفاوت كبير في السن بينهما . . .

هيرميا : ما أكبرها من عقبه تحول دون وُصِّل الشباب !

ليساندر : أو أن الأمر والاختيار في يد الأصدقاء . . .

هيرميا : ما أبشعها من عقبه تترك أمر اختيار الحبيب لأعين الآخرين !

ليساندر : أو حتى إن توقّرت المحبة والكفاءة ، فكثيراً ما كان الحب مهدداً بنشوب الحرب ، أو حلول الموت ، أو وفود المرض ، ما يجعله مؤقتاً كالصوت ، عابراً كالخيال ، قصيراً كالخلم ، خاطفاً كالبرق في الليلة الظلماء .

وفي نفس المشهد تستفسر هيلينا البائسة في حبها لديميترىوس عن سرّ استحواذ صديقتها هيرميا على قلبه وهي العاشقة لغيره :

هيلينا : علّمني إذن كيف أبدو وأظهر . . علّمني ذلك الفن الذي مكّنك من التحكم في خلجات قلب ديميترىوس .

هيرميا : أعبس في وجهه فيظل صامداً في حبه لى .

هيلينا : ما أحرى ابتساماتي أن تتعلم هذا الفن من عبوسك !

هيرميا : أغمره بلعناتي فيغمرنى بحبه .

هيلينا : ألا ليت لتوسلاتي نفس تأثير لعناتك .

هيرميا : كلما زادت كراهيتي له زاد تعلقه بى .

هيلينا : وكلما زاد حبي له زادت كراهيتي لى .

والأهم من ذلك كله عند شكسبير هو إبراز فكرة أن الحب أعمى ، بمعنى أنه خاضع لنزوات قوى غير بشرية (يمثلها في هذه المسرحية الجنيان أوبيرون وبك) ، مما يدفع العاشق دفعاً ، ودون إرادة منه ، إلى توهم الفضائل والمحاسن كلها في العارى منها ، والتعامى عنها في المتحلّى بها ، والتنقل من هوى إلى آخر دون أدنى مبرر ، مع الظن أنه في هواه الأول كان واهماً أو غرّاً بليداً ، ثم صارت له بعد زوال الوهم عينان مبصرتان ووضحتا الرؤية :

ليساندر : لم أكن في وعي حين أقسمت لها أنى أهواها .

هيلينا : ولا أنت في وعيك الآن إذ تقرّر أن تنساها !

فهو قدّر لا دخل لإرادات البشر فيه ، وسهم من سهوم كيوييد يصوّبه في أى اتجاه شاء .

شخصيات المسرحية

* * *

والمسرحية مع ذلك هى في رأى في غنى عن التعليق والتحليل والبحث عن محورها وفكرتها الرئيسية . فهى إنما تدعونا فحسب إلى الاستمتاع بها ، والاستغراق في شاعريتها وسحرها وسعة الخيال فيها وجمال نسيجها متعدّد الألوان . وهو استغراق يلهينا عن حشد من الأخطاء التاريخية وغير التاريخية التى وقع شكسبير سهواً فيها ، أو كان متنبهاً إليها ولكنه لم يعبأ بتصحيحها : كالإشارة إلى نيسوس (وهو من أبطال الأساطير الإغريقية القديمة) باعتباره « دوق » أثينا ، والحديث عن ساعة تعلن دقائقها عن حلول منتصف الليل ، وعن كنائس والمقابر في أفنتيتها، وعن نظام الرهينة، وعن عمال ذوى أسماء وساعات إنجليزية ، وعن طلقات البنادق ، وعيد القديس فالتين ، وعقائد مسيحية شتى ، هذا بالإضافة إلى ما أشرنا إليه أنفاً من خطأ في تحديد الفترة التى وقعت فيها أحداث المسرحية ، وربما في عنوان المسرحية ذاته .

حسين أحمد أمين

مصر الجديدة في ١٨ إبريل ١٩٩٤

دوق أثينا	نيسوس
ملكة الأمازونات (١) ، وخطيبة نيسوس	هيوليتا
شاب أثيني يعشق هيرميا	ليساندر
شابة تعشق ليساندر	هيرميا
شاب أثيني يعشق هيرميا	ديميتريوس
شابة تعشق ديميتريوس	هيلينا
والد هيرميا	إيجيوس
المشرف على تنظيم الاحتفالات في بلاط نيسوس	فيلوسترات
عمال أثينيون	بوتوم
	كوينس
	فلوت
	سناوت
	ستار فلينج
نساج	سُنَج
نجار	
مصلح المنافع (٢)	
سمكرى	
خيياط	
نجار	

(١) الأمازونات : نساء محاربات زعمت الأساطير الإغريقية أنهن كن يقمن في مملكة هن قرب البحر

الأسود .

(٢) جمع منفاخ .

مشاهد المسرحية

الفصل الأول :

المشهد الأول : قصر الدوق في أثينا
المشهد الثاني : منزل كوينس في أثينا

الفصل الثاني :

المشهد الأول : غابة قرب أثينا
المشهد الثاني : مكان آخر في الغابة

الفصل الثالث :

المشهد الأول : في الغابة
المشهد الثاني : في الغابة

الفصل الرابع :

المشهد الأول : في الغابة
المشهد الثاني : منزل كوينس في أثينا

الفصل الخامس :

المشهد الأول : القصر في أثينا
المشهد الثاني : مكان آخر في القصر

أويرون
تيتانيا
بَكْ
زهر البسلّة
نسج العنكبوت
عُنّة
حبّ الخردل
ملك الجن
ملكة الجن
(أوروبين جودفيلو) خادم أوبيرون
من الجن
أتباع - رجال البلاط - جنّ وجنيات

تقع أحداث المسرحية في أثينا وغابة خارجها

الفصل الأول

المشهد الأول

قصر الدوق فى أثينا

(يدخل نيسوس وهيبوليتا مع فيلوسترات وأتباع آخرين)

نيسوس : ساعة زفافنا تقرب ، أى هيبوليتا الحسنة . وبعد أربعة أيام سعيدة يظهر هلال الشهر الجديد . ومع ذلك فإنى لأخال القمر القديم متباطئا فى أفوله ، فيقف تباطؤه حائلاً بينى وبين تحقيق رغباتى ، كما تقف الأرملة أو زوجة الأب حائلاً بين الشاب وبين أن يرث ثروة أبيه .

هيبوليتا : سرعان ما سيُغْلَف الليلُ كلَّ نهار من تلك الأيام الأربعة ، وتقطع الوقت أحلام كل ليلة من الليالى الأربع . وبعدها يشهد احتفالات زفافنا القمر الجديد ، وهو فى صورة قوس فضى تشده قبضة قوية فى السماء استعداداً لإطلاق السهم .

نيسوس : إمض يا فيلوسترات ، وادعُ شباب أثينا إلى المشاركة فى الاحتفالات ، وأيقظ من سباتها روح المرح بصخبها وبهجتها ، واصرف إلى الجنائز مشاعر الحزن الشاحب الذى لا يليق باحتفالنا البهيج .

(يخرج فيلوسترات)

خطبتُ مودَّتكَ يا هيبوليتا بسيفى ، وظفرت بحبِّك عن طريق إلحاق

الأذى بك (١) . غير أنني إذ أحتفل بزواجي منك سأهجع منوالاً آخر :
منوال الفخامة ونشوة الظفر وتهيئة الملدّات .

(يدخل إيجيوس وابنته هيرميا ، يتبعهما ليساندر وديميتريوس)

إيجيوس : تمنياتنا بالسعادة لدوقنا الشهرير ثيسوس .

ثيسوس : شكراً لإيجيوس النبيل . . ما أخبارك ؟

إيجيوس : إنها أتت إليك وملئى الغضب ، لأتقدم بشكوى من ابنتى هيرميا . .
تقدّم يا ديميتريوس . . مولاي النبيل ، لقد حظى هذا الرجل بموافقتي
على الزواج منها . . تقدّم يا ليساندر . . غير أن هذا الرجل يا سيدى
الدوق قد فتنّ بالسحر قلب ابنتى . . نعم أنت ، أنت يا ليساندر ،
أعطيته قصاد الشعر ، وبادلتها هدايا المحبة ، وتسلّلت إلى نافذتها في
ضوء القمر لتغنى - وقد غيّرت من صوتك - أغنيات تدعى فيها أنك
تحبّها ، وغرّرت بها لتسلب حبها عن طريق إهدائك إياها خصلات من
شعرك ، وأقراطاً ، وهدايا لا قيمة لها ، وعطايا لا جدوى منها ، وأشياء
صغيرة وتفاهات ، وباقات زهر وحلوى ، وغير ذلك مما يؤثر تأثيراً قوياً
في الشباب الغرّ الذي لم تحنكه التجارب ، فسلبت بمكرك قلب ابنتى ،
فإذا بواجب الطاعة الذى تدين به لى وقد تحوّل إلى تصلّب وعناد . . فإن
هى أبّت هنا - وفي حضرتك يا سيدى الدوق - أن تقبل الزواج من
ديميتريوس ، فاسمح لى أن أتمسك بحقى وفق التقاليد الأثينية
القديمة ، و باعتبارها ملكاً لى ، فى أن أتصرف فى شخصها كما يحلولى .
فإما أن تقبل هذا السيد ، أو فليكن الموتُ جزءها كما يقضى قانوننا
المتعلّق بمثل هذه الحالة .

ثيسوس : ما قولك يا هيرميا ؟ إستمعى إلى نصحى أيتها الفتاة الجميلة ، وليكن

(١) كان ثيسوس قد حارب الأمازونات ، وهزمهن ، وسبى ملكتهن هيبوليتا فى الحرب

أبوك بمثابة إله لك . فإليه يرجع الفضل فيما تتمتعين به من مفاتن .
نعم . وما أنت إلا كقالب من الشمع قد طبعه بطابعه ، ومن حقه أن
يحفظ بهذا القالب كما هو أو أن يمسخه بإرادته . . ثم إن ديميتريوس
سيد جدير بك .

هيرميا : وكذا ليساندر .

ثيسوس : نعم ، هو جدير بك فى حدّ ذاته . غير أن افتقاره إلى رضا والدك يجعل
الأخر أكثر جدارة .

هيرميا : كم كنت أتمنى أن ينظر أبى إليه بعينى .

ثيسوس : بل كان الواجب أن تهتدى عينك برأيه .

هيرميا : صفحا ومغفرة يا مولاي . . إننى لا أدرى أىّ قوّة تلك التى تمدّنى بهذه
الجرأة ، ولا كيف سيؤثر فى سمعتى تعبيرى عن رأبى فى حضرة
كحضرتك . غير أنى أتوسل إلى مولاي أن يُعلمنى بالمصير الذى
يتهدّدى فى هذه الحالة ، إن أنا أبيت الزواج من ديميتريوس .

ثيسوس : إما الموت أو اعتزال الناس إلى الأبد . . لذا فإنى أدعوك أى هيرميا الحسنة
أن تعيدى النظر فى رغائبك ، وأن تقدّرى صغر سنك ، وأن تكبحى
جراح نزوتك ، وأن تفكرى جيّداً فيما إذا كان بوسعك - متى أبيت
الانصياع لرغبة والدك - أن تحتلمى زوى الراهبات ، وأن تحببى إلى الأبد
سجينة فى دير مظلم ، وتظلّى عقيمة طيلة عمرك تصلين لإلهة القمر
العقيمة الباردة . . صحيح أن الآلهة تبارك أولئك اللواتى يُمكنن بقوّة
بعنان رغباتهن ، حتى يلتزمن بالعفة طيلة مسار حياتهن . غير أن تقطير
الورود يضمن فى هذه الحياة الدنيا سعادةً أوفرَ من تلك التى ستكون من
نصيب من اختارت حياة العزوبة ، فتنمو وتعيش وتموت معلقة على
أشواك العذرية وقد ذبلت نضارتها .

هيرميا : إننى لأفضّل يا مولاي أن أنمو وأعيش وأموت على هذا النحو الذى
ذكرت ، على أن أسلم عُذرتى لهذا السيد الذى تأبى روحى أن تُسلم له
قيادها وترفضه .

ثيسوس : بل فكرى فى الأمر بضعة أيام . حتى إذا ما هلّ هلال الشهر الجديد ، وحلّ يوم توثيق عهد المودة الأبدى بينى وبين من ملكت فؤادى ، كان عليك إما قبول عقوبة الموت لعصيانك أمر أبىك ، أو قبول ديميتريوس زوجا لك كما قضت إرادته ، أو أداء القسم عند محراب الإلهة ديانا بالتزام التقشف وحياة العزوبة إلى أبد الأبدى .

ديميتريوس : لتراجعى ، أى هيرميا الرقيقة عن موقفك ، ولتهجر ، أى ليساندر مطالبتك الحمقاء بما هو حق أكيد لى .

ليساندر : ما فى جعبتك يا ديميتريوس غير حب أبىها لك . أما عنى فأملك محبتها لى . فلتتزوج إذن من أبىها !

إيجيوس : أتسخر يا ليساندر ؟ صحيح أنه يتمتع بمحبتى . غير أن محبتى ستغدق عليه ما أملكه . وإذ هى فى عداد ملكى ، فإنى أهبه كل حق لى عليها .

ليساندر : إننى يا مولاي من عائلة كريمة كعائلته ، ومكانتى فى المجتمع لا تقل عن مكانته ، وحبى لهيرميا أقوى من حبه لها ، وثروتى تعادل ثروته إن لم تكن تفوقها . غير أن الأهم من كل هذه المزايا التى يتفاخر الناس بها ، هو أن هيرميا الجميلة تحبنى . فلماذا أطالب إذن بالتوقف عن المطالبة بحقى ؟ ثم إنى سأقولها هنا صراحة وأمام ديميتريوس ، أنه غرّر بابنة نيدار ، وتُدعى هيلينا ، وأقنعها بأنه يجيها فوقعت فى غرامه . وها هى الفتاة الطيبة الآن تهيم بهذا الفتى المتقلب الذى لا يمكن الوثوق به ، وتعشقه بل وتعبده كما لو كان إلها .

ثيسوس : أعترف بأنى سمعت شيئا من هذا القبيل ، وكان فى نيتى أن أحادث ديميتريوس فى هذا الشأن ، لولا أنى انشغلت انشغالا كاملا بأمرى الشخصية فنسيت الأمر . . ولكن ، تعال معى يا ديميتريوس ، وأنت يا إيجيوس ، فلدى نصيحة خاصة لكل منكما . أما أنتِ أى هيرميا الحسنة ، فخير لك أن تُكَيِّفى رغباتك فى ضوء مشيئة والدك ، حتى لا يلفظك قانون أئينا الذى لا نملك أن نغيره ، فيُقضى عليك إما

بالموت أو بالتزام حياة العزوبة . . . هيا يا هيبوليتا . ما هذا الوجوم الذى طرأ عليك يا حبيبتى ؟ وهيا يا ديميتريوس وإيجيوس ، فثمة مهمة تتعلق بعُرْسنا أنوى إنسانها إليكما ، كما أنى سأحاذركما فى أمر يتعلق بكما . .

إيجيوس : تتبعك يا مولاي سامعين مطيعين

(يخرج الجميع عدا ليساندر وهيرميا)

ليساندر : ما الخبر يا حبيبتى ؟ ما لوجهك قد شحب وذبلت الورودُ فى خديك بهذه السرعة ؟

هيرميا : ربما لندرة المطر ، رغم استطاعتى أن أعوض عنه بغزارة ما ينهمر من عينى من الدموع .

ليساندر : واحرّ قلباه ! ما قرأتُ من شىء ولا سمعتُ من القصص والتاريخ إلا فهمت منه أن طريق الحب الحقيقى هو دوما مخفوف بالمصاعب والأشواك . . فثمة إما تفاوت المكانة الاجتماعية بين الحبيين

هيرميا : ما أضخمها من عقبة تحول دون وُصل المغمورين !

ليساندر : أو تفاوت كبير فى السن بينها

هيرميا : ما أكبرها من عقبة تحول دون وصل الشباب !

ليساندر : أو أن الأمر والاختيار فى يد الأصدقاء

هيرميا : ما أبشعها من عقبة تترك أمر اختيار الحبيب لأعين الآخرين !

ليساندر : أو حتى إن توفرت المحبة والكفاءة ، فكثيرا ما كان الحب مهددا بنشوب الحرب ، أو حلول الموت ، أو وفود المرض ، مما يجعله مؤقتا كالصوت ، عابرا كالخيال ، قصيرا كاللحم ، خاطفا كالبرق فى الليلة الظلماء . . إن شهد نوبة غضب اهتزت لها السماوات والأرض ، فإذا بفكّى الظلمة وقد ابتلعاه من قبل أن يكون بوسع لسان المرء أن ينبس بكلمة . . بمثل هذه السرعة إذن تتبدد الأشياء الجميلة الساطعة فى حياتنا .

هيرميا : إن كان طريق الحب الحقيقي هو دوما محفوف بالمصاعب والأشواك ، فلا بد أن هذا هو قدره المكتوب . . . وعلينا إذن أن نتسلح في محتنا بالصبر، ناظرين إلى المصاعب باعتبارها أمرا طبيعيا مألوفًا في الحب ، شأن الأفكار والأحلام والتنهيدات والرغبات والدموع وغيرها من توابع الهوى المسكين .

ليساندر : كلام منطوق ومعقول . فاستمعي إلى إذن يا هيرميا . . . لي عمّة أرملة عجوز، واسعة الثراء ، لا أولاد لها . فأما بيتها فعلى بُعد سبعة فراسخ من أئينا . . . وهي تعتبرني بمثابة ابنها الوحيد . . . هناك ، أى هيرميا الرقيقة ، بوسعنا أن نعقد زواجنا . فالمكان يخرج عن نطاق القانون الأثيني الصارم ومجال تنفيذه . فإن كنت تحببيني فلتتسللي من دار أبيك غداً في الليل ، وسأكون في انتظارك في الغابة التي تقع على بعد فرسخ واحد من المدينة ، في المكان الذي قابلتك فيه مع هيلينا من قبل للاحتفال بعيد مايو .

هيرميا : أقسم لك ، أى ليساندر الرقيق ، بأقوى قويس يمتلكه كيوييد ، وبأفضل سهامه مذهبة الرءوس ، وببراءة حائم فينوس ، وبكل ما يقرب بين العاشقين ويبارك حبهم ، وبالنار التي التهمت ملكة قرطاجنة وقد ألفت فيها بنفسها حين هجرها الطرّوادى الخائن مبحراً بسفينته ، وبكل عهود الهوى التي يحنث دوما بها الرجال ، والتي تفوق في عددها عدد ما تقطعه النساء على أنفسهن من عهود ، أقسم بكل هذا أنى سأقابلك غداً في ذلك المكان الذي ذكرته لي .

ليساندر : فلتوفي إذن بوعدك يا حبيبتي . . . انظري ! ها هي ذى هيلينا قد أقبلت .

(تدخل هيلينا)

هيرميا : تحية لك أى هيلينا الحسنة . إلى أين تمضين ؟

هيلينا : تصفيني بالحسنة ؟ تراجعى عن وصفك هذا ، فالحسنة التي يعيشها ديميتريوس هي أنت . ألا ما أسعدك من امرأة حسنة ! عينك كنجمي القطب ، ونغم صوتك أجمل وقعاً من نغم القبرة في مسمع الراعى وقت

اخضرار سنابل القمح وظهور البراعم . . . ألا ليت للملامح عدوى كعدوى المرض ، حتى تنتقل إلى الآن عدوى ملاحك يا هيرميا الحسنة ! حينئذ تتصيد أذنأى صوتك ، وينتقل إلى عيني جمال عينيك ، وإلى لساني أنغام صوتك العذب . . . ألا لو كانت الدنيا بأسرها ملكاً لي ، لأعطيها لك مقابل قلب ديميتريوس ! علميني إذن كيف أبدو وأظهر . علميني ذلك الفن الذى مكنتك من التحكم في خلجات قلب ديميتريوس .

هيرميا : أعبس في وجهه فيظل صامداً في حبه لي .

هيلينا : ما أحرى ابتساماتي أن تتعلم هذا الفن من عبوسك !

هيرميا : أغمره بلعناتي فيغمرنى بحبه .

هيلينا : ألا ليت لتوسلاتي نفس تأثير لعناتك !

هيرميا : كلما زادت كراهيتي له زاد تعلقه بي .

هيلينا : وكلما زاد حبي له زادت كراهيته لي .

هيرميا : غير أنى لست مسئولة يا هيلينا عن حماقة ، ولا هي عن خطأ منى .

هيلينا : جمالك وحده هو المسئول ، وليت الخطأ كان منى .

هيرميا : هدئي من روعك . فهو لن يرى وجهى بعد اليوم . لقد اعتزمت أنا

وليساندر أن نهرب من المدينة . . . لقد كانت أئينا تبدو كالجنة في عيني

قبل أن تقع عيني على ليساندر . فأية قوة تلك التي تكمن في هوى إذ

تحول الجنة إلى جحيم !؟

ليساندر : سنكشف لك يا هيلينا سرنا . فغداً عند المساء ، حين ترى الشمس

خيالها الفضى في مرآة الماء ، وحين تسكب على الحشائش طبقة من سائل

اللؤلؤ ، وحين يخفى الظلام آثار العشاق الهارين ، قد قر عزمنا على أن

نتسلل خارجين من أبواب أئينا .

هيرميا : وسألتقى بحبيبي ليساندر في الغابة . . . تلك الغابة التي كثيراً ما كنت أنا

وأنت نرقد فيها على فراش من الورود لنفرغ مكنون صدرينا ويكشف كل

المشهد الثاني

منزل كوينس في أثينا

(يدخل عدد من العمال : كوينس ، وسنج ، وبوتوم ، وفلوت ،
وسناوت وستار فلينج)

كوينس : هل اكتمل عددنا ؟

بوتوم : الأفضل أن تنادى عليهم مجتمعين^(١) ، فردًا فردًا ، وفق القائمة .

كوينس : هذه قائمة بأسماء جميع الرجال الذين اعتبرتهم أثينا بأسرها صالحين
للمثيل في مسرحيتنا القصيرة التي سنعرضها أمام الدوق والدوقة ليلة
حفل زفافهما .

بوتوم : أذكر أولاً يا عزيزي كوينس شيئاً عن موضوع المسرحية ، ثم اقرأ علينا
أسماء الممثلين حتى نصل إلى نتيجة .

كوينس : نعم .. فأما مسرحيتنا فهي الكوميديا المساوية المتعلقة بالنهاية المفجعة
ليراموس وثيسبي .

بوتوم : أؤكد لكم أنها مسرحية ممتازة ومضحكة للغاية . والآن يا عزيزي بيتر

(١) يقصد : فرادى . وهذا هو المثل الأول من عدة أمثلة لإساءة بوتوم استعمال الألفاظ في هذه
المسرحية .

منا للآخر عن أسرار قلبه .. عندئذ سنصرف أعيننا عن أثينا ، باحثين
عن أصدقاء جُدد ، وجماعات غريبة عنا .. وداعاً إذن يا رفيقة الصبا ،
وصلى من أجلنا ، وعسى أن يمكنك الحظ السعيد من أن تظفري
بديميتريوس .. أما أنت يا ليساندر فلا تنس الموعد ، وعلينا أن نحول
بين أعيننا وبين طعام المحيين حتى نلتقى في منتصف ليلة الغد .

(تخرج)

ليساندر : سأفعل يا هيرميا .. ووداعاً يا هيلينا . وعسى أن يكون افتتاحان ديميتريوس
بك في قدر افتتاحك به .

(يخرج)

هيلينا : ما أعظم التفاوت بين الناس في قدر سعادتهم ! إن أهل أثينا يرونني في
مثل جمال هيرميا . فهل أفادني ذلك وديميتريوس لا يرى ما يرون ، ولا
يعلم ما يعلمه الكافة إلاه ؟ إنه يخطئ إذ أراه مفتونا بعينها ، وأنا
أخطئ إذ يراني الناس مفتونة بصفاته .. لا شك أن بمقدور الحب أن
يجعل من الأشياء الخاوية التافهة ضئيلة القيمة ، أشياء ثمينة ذات بهاء
ورونق . فالحب لا ينظر بالعين بل بالفؤاد ، ولذا صور الناس كيوييد
المجنح أعمى معصوب العينين . كذلك فإن العقل في الحب ينقصه
سداد الرأي ، وما معنى الجناحين مع فقدان البصر إلا التسرع الأهوج .
وما وُصف الحب بأنه طفل إلا لأنه كالطفل مخدوع في اختياره . وكما أن
الصبية الأوغاد يكذبون في هوهم ، فكذا يقترن الحب بالكذب في كل
مكان .. لقد كان من دأب ديميتريوس قبل أن يرى هيرميا أن يمحطني
بالعهود والوعود مقسماً أنه لا يجب سواي . فما التقى ذلك المطر بالحرارة
التي بثتها فيه هيرميا ، حتى تبخر في الهواء .. سأمضى فأخبره بما تعتمزمه
هيرميا الجميلة من فرار . ولا شك في أنه سيهجر في أثرها إلى الغابة ليلة
الغد . فإن شكرني على إخباري إياه ، فسأسعد بشكره رغم برودته
وجفافه وقلته جدواه . ويكفيني أني سأنعم برؤيته ، طوال رحلته إلى
الغابة ورحلة عودته .

(تخرج)

كوينس عليك بالنداء على الممثلين وفق القائمة . . أرجوكم ألا تزدهموا حوله .

كوينس : وليجبنى كل من أنادى على اسمه . . نيك بوتوم النساج !

بوتوم : موجود ! أخبرنى أئى دور سألعبه ثم ناد على بقية الأسماء .

كوينس : قد وقع الاختيار عليك يا نيك بوتوم لتمثيل دور بيراموس .

بوتوم : ومن هو بيراموس هذا ؟ عاشق أم طاغية ؟

كوينس : عاشق يقتل نفسه ، عظيم اللباقة فى عشق النساء .

بوتوم : يعنى هذا أن الدموع ستسيل من الأعين متى أُجيد التمثيل . فإن أنا

مثلت الدور فليحرص المتفرجون على أعينهم ، حيث أنى أعترم إثارة

عاصفة من البكاء بإظهار لوعتى فى الغرام . غير أنى فى الواقع كنت

أفضل أن أمثل دور طاغية . . فالمؤكد أنى سأجيد دور هرقل^(١) ، أو

أئى دور يتيح لى فرصة أن أصول وأن أجول وأن أصرخ وأن أهتف حتى

يهتز البنيان ويتصدع :

الصخور الغاضبات

والضربات القاصبات

ستكسر الأقفال

وتحرّر الرجال

وسيسطع من بعيد

كوكبنا السعيد

فيعامل بازدياء

أقدارنا الحمقاء

ما رأيكم فى هذه البلاغة ؟ والآن ناد على بقية الأسماء . . إنها البلاغة

(١) يعنى هرقل بطل الأسطورة الإغريقية وأقوى الرجال .

الخليقة بهرقل ، الخليقة بطاغية . أما دور العاشق فدور أكثر رقة ونعومة .

كوينس : فرانسيس فلوت ، مصلح المنافع .

فلوت : موجود يا بيتر كوينس .

كوينس : أما أنت يا فلوت فستلعب دور ثيسبى .

فلوت : ومن هو ثيسبى هذا ؟ فارس متجول ؟

كوينس : هى السيدة التى سيقع بيراموس فى غرامها .

فلوت : أرجوك ألا تسند إلى دورًا نسائيًا ، فلحيتى قد بدأت تنمو .

كوينس : لا بأس فى هذا فإنك سترتدى قناعًا أثناء التمثيل . . ولكن عليك أن

ترقق من صوتك قدر الإمكان .

بوتوم : ما دمنا سنلبس أفعنة فلا لعب أنا دور ثيسبى أيضًا . سأتكلم بصوت

رقيق أجش : « أه يا ثيسبى ، يا ثيسبى ! » ، « أو اه يا بيراموس

ياحبيبي . تعال إلى ثيسبى حبيبتك ومملكة فؤادك ! »

كوينس : لا ، لا . ستلعب أنت دور بيراموس ، وسيلعب فلوت دور ثيسبى .

بوتوم : حسنا إذن . . استمر .

كوينس : روبين ستار فلينج الخياط .

سترافلينج : موجود يا بيتر كوينس .

كوينس : ستلعب يا ستار فلينج دور والدة ثيسبى توم سناوت السمكرى .

سناوت : موجود يا بيتر كوينس .

كوينس : ستلعب أنت دور والد بيراموس . وسألعب أنا دور والد ثيسبى .

ويلعب سنج النجار دور الأسد . وبهذا على ما أمل ، يكتمل بناء

المسرحية .

سنج : هل دور الأسد مكتوب ؟ إن كان مكتوبًا فأعطني إياه الآن ، فأنا بطيء

فى الحفظ .

كوينس : يمكنك أن ترتجل الدور ، فهو مجرد زئير .

بوتوم : إسمح لي أن ألعب أيضًا دور الأسد . سأزأر فيطرب الجمهور لزئيري . .
سأزأر حتى يصيح الدوق : « دعوه يزأر مرة أخرى . دعوه يزأر مرة أخرى » !

كوينس : ولكنك ستجعل زئيرك مربعًا فتخيف به الدوقة وسائر السيدات ،
فيصرخن صراخًا هو كفيفيل بأن يقودنا جميعًا إلى جبل المشنقة .

الجميع : سيتسبب في شنقتنا أجمعين .

بوتوم : معكم الحق أيها الأصدقاء . فلو أننا أطرنا صواب السيدات ، لم يبق في
رءوسهن عقل يحول بينهن وبين الأمر بشنقتنا . غير أني سأعثر من صوتي
بدرجة رهيبية ، فأجعل زئيري رقيقًا كهديل الحمام ، أو كزئير أي بلبل من
البلابل .

كوينس : لن تلعب دورًا غير دور بيراموس . ودعني أطمئنتك إلى أن بيراموس هذا
رجل وسيم الوجه ، كامل الأوصاف كأي من الرجال الذين نراهم في يوم
من أيام الصيف ، وسيد رائع من كافة الوجوه . ولهذا فإن عليك القيام
بدور بيراموس .

بوتوم : حسنا ، سأقوم به إذن . . فأية لحية تليق بهذا الدور ؟

كوينس : أية لحية تختارها .

بوتوم : سأؤدى الدور في لحية من اللحي في مخزنك يكون لونها إما كلون القش ،
أو لون البرتقال ، أو لون الأرجوان الثابت ، أو لون العملة الفرنسية
الذهبية الصفراء .

كوينس : بعض هذه العملات الفرنسية التي تتحدث عنها لا شعر لها على
الإطلاق (١) ، وبالتالي ستقوم بدورك وأنت حليق الوجه ! . . ولكن ،
ها هي أدواركم أيها السادة . . وإني لأناشدكم ، وأرجوكم ، وأطالبكم

بأن تحفظوها قبل مساء الغد ، وأن تقابلوني في غابة القصر التي هي على
مسافة ميل خارج المدينة ، عند بزوغ القمر ، وهناك نتمرن على أداء
المسرحية . ذلك أننا لو التقينا في المدينة فسيجتمع الناس حولنا
للمشاهدة ويكتشفون خططنا . . وحتى ذلك الحين سأقوم بإعداد قائمة
بما تحتاجه المسرحية من ملابس ومناظر . . أرجوكم ألا تخلفوا الميعاد .

بوتوم : بل سنلتقي ، وستتمرن في جراءة وفي خيفة عن الأنظار (١) . فابدلوا في
حفظ الأدوار الجهد الخليق بطلب الكمال . . وداعا .

كوينس : عند شجرة بلوط الدوق نلتقي .

بوتوم : كفانا هذا . والعار لمن أخلف الميعاد .

(يخرجون)

(١) يقصد : « خفية عن الأنظار » .

(١) يعنى أن داء الزُّهرى (ويسمى أيضًا بالداء الفرنسى) يتسبب في سقوط الشعر .

الفصل الثانى

الفصل الثانی

المشهد الأول

غابة قرب أثينا

(تدخل جنیة من جانب ، وبك من جانب آخر)

بك : أراك أيتها الجنیة تجولين . فإلى أين ؟

الجنیة : فوق الجبال أجول وفوق الوديان

وعبر الأدغال وعبر الأشجار

وفوق الحدائق وفوق المزارع

وعبر النيران وعبر الأنهار

أجول وأجول في كل مكان

بأسرع مما يجول القمر في السماء

في خدمة ملكة الجنيات الحسنة

لأنثر الطلّ فوق الحشائش الخضراء

فأما السيقان الطويلة لزهر الربيع

فجنود الملكة . وأما ما فيها من بقع حمراء

فشارات تحملها معاطف الجند الصفراء

إنها الياقوت الذي تُنعم به الجنيات

ومنها ينبعث سدى النباتات

سأمضى فأبحث هنا عن بعض هذه السيقان

وأعلّق لؤلؤة في أذن كل منها فتردان
وداعا فإني ذاهبة أيها الأحق الكسلان
واعلم أن الملكة وكافة الجن سيكونون هنا بعد ثوان .

بك : سيقم الملك هنا احتفالاً هذا المساء ،

فلتحذر الملكة من أن يكون بينهما لقاء .

فأويرون نائر غاضب أشد الغضب

لأنها سرقت من أحد ملوك الهند صبيا جميلاً له ،

لتجعله تابعاً من أتباعها . . إنه أجمل صبى سرقتة .

وأويرون الغيور يريده ليجعله من حرسه الخاص ،

ليجول له في الغابات والأحراش .

غير أنها تتمسك بالغلام ،

وتزيّن له رأسه بأكاليل من الزهر ،

حتى بات مصدر كل متعة لها .

والآن فإن الملكة والملك لا يلتقيان في بستان أو حقل ،

أو عند نافورة صافية تتلألأ فيها صورة نجوم الليل ،

إلا تجادلا وتشاجراً ، حتى لقد بدأ كافة أتباعها من الجن

يتسلّلون من خوفهم داخل جوز البلوط ليختبئوا فيها .

الجنيّة : إما أنى قد أخطأت تماما في التعرف على شخصك ومظهرك ،

أو أنك في الحقيقة ذلك الجنى الخبيث الماكر

الذى يدعونه رويين جودفيلو .

ألسّ أنت الذى يدأب على إثارة الرعب في بنات القرى ،

ويسرق من الحليب قشدته ،

ويندسّ أحيانا في المطاحن اليدوية ليعطل عملها ،

فيذهب جهد ربّات البيوت اللاهثات هباء ؟

ألسّ أنت الذى تفسد الخميرة في الجعة ،

وتضلّل سُراة الليل ثم تضحك إذ جعلتهم يضلّون الطريق ؟

أما أولئك الذى ينعتونك بالجنى الظريف ، أو بك اللطيف ،

فتساعدهم على أداء أعمالهم وتجلب الحظ لهم .

ألسّ أنت هو ؟

بك : هذا صحيح . فأنا الهائم المرح أثناء الليل ،

أمازح أويرون وأجعله يبتسم ،

حين أخدع الحصان السمين الذى يتغذى على البقول ،

وأقلد صوت مُهرته فيحسبني هي .

وأحيانا أدسّ بنفسى في شراب إمراة عجوز ،

متخذاً صورة سرطان مشوى ،

حتى إذا ما شربت من كأسها ففرت إلى شفيتها

فأريق النبيذ على لُعدها المهتدل . .

وأحيانا تريد العجوز أن تجلس لتقص على الجمع قصة حزينة ،

فتتصوّرني مقعداً ذا أرجل ثلاثة ،

حتى إذا ما تهيأت للجلوس ترحزحزّ عن عجيزتها ،

فتهوى على الأرض صارخة « إلحقوني » ! وتبدأ في السعال .

حينئذ ينفجر الجمع كله بالضحك وقد أمسكوا بجنوبهم ،

ويزداد مرحهم فيعطسون ويقسمون أنهم ما قضوا في حياتهم ساعة

أكثر مرحاً من تلك الساعة .

ولكن لتفسحى الطريق أيتها الجنية ، فها هو أويرون قد أقبل .

الجنيّة : وها هي مولاتي قد أقبلت . . ليته ما جاء !

(يدخل أويرون وأتباعه من جانب ، وتيتانيا وأتباعها من جانب آخر)

أويرون : من سوء حظى أن أقابلك في ضوء القمر ، أى تيتانيا المتغطرة !

تيتانيا : أهدا أنت يا أوبيرون الغيور ؟ لننصرف من هنا أيتها الجنيات ، فقد هجرت فراشه وقاطعتُ صحبته .

أوبيرون : بل يبقى في مكانك أيتها المرأة العنيدة . ألسنتُ زوجك ؟

تيتانيا : لو كان ذلك لكنثُ إذن زوجتك ! غير أني أعلم جيداً أنك حين تسللت من عالم الجن في صورة الراعي كورين ، كنت تقضى أياماً بطولها تعزف على ناي من بوص ، منشداً ألحان الغرام لمعشوقتك فيليدا (١) . . ولماذا عدت إلى هنا قادمًا من أقصى سهول الهند ؟ تريدني أن أخبرك ؟ لأن الأمازونة المتوتبة ، عشقتك التي ترتدى حذاء القنص ، وتحارب وتقاتل ، هي الآن على وشك الزواج من ثيسوس ، وأتيت أنت لتبارك فراشها وتدعو لها بالرفاء والبنين .

أوبيرون : عار عليك يا تيتانيا ! كيف تجرؤين على تشويهه علاقتي بهيبوليتا وأنت تعلمين جيداً أني على علم بحبك لثيسوس ؟ ألم تمهدى له سبيل الهرب ليلاً من بيريجينيا التي اغتصبها ، وسبيل إخلاف وعوده لإيجليس الحسنة ، ولأريادنا وأنتيوبيا (٢) ؟

تيتانيا : كلها أكاذيب لفققتها غيرتك . . وما من مرة واحدة منذ بداية منتصف الصيف إجتمع فيها الجن على تل أو في وادٍ أو غابة أو مرج ، عند نافورة حجرية أو مستنقع أو ساحل بحر ، لنرقص في حلقات على صوت عزف الرياح ، إلا عكرت أنت صفو بهجتنا بشجارتك . . ولهذا فإن الرياح وقد رأت أن عزفها لنا قد أصبح دون جدوى ، سعت إلى الانتقام بأن امتصت من البحر سحباً مليؤها الأمراض وأطلقتها على الأرض ، فامتلات ببائها الأنهار بل والجداول الصغيرة وفاضت مياهها على الشطآن . . فإذا بالثور يحاول عبثاً أن يجر المحراث ، وإذا القائم بالحراث وقد ضاعت جهوده سدى ، وإذا سنابل القمح الخضراء تذبل قبل

نضجها ، وتذوى قبل أن تثبت لشبابها لحية . . الحقول الغارقة في الماء قد خلت من قطعان الماشية ، والغربان قد سمنت بأكلها اللحم المريض من أجسام الخراف الميتة ، والملاعب قد غمرتها الأرحال ، والممرات المتعرجة عبر الحقول الخضراء قد إختفت وإندثرت باختفاء المارين فيها (١) .

الآدميون يتطلعون عبثاً إلى قدوم الشتاء . وقد دفعهم اليأس إلى التخلي عن استقبال المساء بإنشاد الأغاني والتراتيل ، وهو ما أغضب القمر الذي يتحكّم في الفيضان ، فإذا بوجهه وقد شحب ، وإذا هو يطلق المزيد من الأمطار التي تسببت في انتشار الإصابات بالبرد والسعال . وقد أدى هذا الطقس المتقلب إلى إضطراب نظام الفصول ، فإذا الورد القرمزي وقد كسى الصقيع أوراقه الناضرة ، وإذا جبين الشتاء البارد الأجرد وقد كثلته باقة عطرة من ورد الصيف الجميل ، وكأنها من قبيل السخرية بفصول السنة . وها نحن نشهد تبادلًا بين فصول الربيع والصيف والخريف والغنى بالثمار والشتاء الغاضب في سهاها المعهودة ، حتى ما عاد البشر المذهولون بقادرين على التمييز بينها . وكل هذه الفوضى والشروع إنما ترجع إلى تشاحننا ونزاعنا . فنحن الأصل فيها إذن ونحن مصدرها .

أوبيرون : لتصلحى الأمر الإذن ، فهو في وسعك . فما الداعي إلى منازعة تيتانيا لأوبيرون ؟ ما أريد منك غير صبي مسروق ليكون حاجباً لي .

تيتانيا : ليطمئن فؤادك إلى أني لن أتخلى عن هذا الصبي ولا في مقابل عالم الجن بأسره . لقد كانت أمه من مريدات طريقي ، وكثيراً ما جلسنا سوياً في الهند بالليل ، ننعّم بالهواء العطر ، ونتجاذب أطراف الحديث ، وعلى الرمال الصفراء لشاطئ البحر ، نراقب التجار على السفن التي تمخر

(١) في كل هذا الحديث إشارة إلى المتاعب والخسائر التي واجهها الإنجليز من جراء سوء الأحوال الجوية عام ١٥٩٤ ، وهو العام الذي يحتمل أن يكون شكسبير قد كتب فيه هذه المسرحية .

(١) كورين وفيليدا : عاشقان من الرعاة في الأساطير الإغريقية .

(٢) بيريجينيا وإيجليس وأريادنا وأنتيوبيا : نساء تحدث بلوتارك في « السير » عن علاقة ثيسوس بهن .

عباب الماء ، ونضحك حين نرى أشرعتها كالمرأة الحامل قد انتفخ بطنها
بمعا شررتها الريح العابثة . وقد كانت في ذلك الوقت تحمل في رحمها
الغلام الذى تتحدث عنه ، فكانت تسير على الرمال تقلد بمشيتها
الرشيقة حركة السفينة العائمة ، وتأتى إلى هدايا صغيرة ثم تعود إلى
التجول ، تماما كالسفن التى تعود بعد كل رحلة ببضائع ثمينة
غير أنها للأسف ، وهى غير المخلدة ، ماتت وهى تلد ابنها ، فأليت
على نفسى أن أنهض بترية الغلام ورعايته من أجل أمه ، وآليت على
نفسى ألا أتخلى عنه .

أوبيرون : وكم تنوين البقاء في هذه الغابة ؟

تيتانيا : ربما بقيت فيها إلى ما بعد يوم زفاف ثيسوس . فإن كان لديك من الصبر
والعزم على الاشتراك في رقصنا ومشاهدة احتفالنا في ضوء القمر ، فيها
معنا . وإلا فلتجتنبى وسأتجنب بدورى أماكن تواجدك .

أوبيرون : أعطني الغلام وسأمضى معك .

تيتانيا : لا ولو وضعت في يمينى عالم الجن بأسره . . لنمض أيتها الجنيات . . فلا
شك في أن خلافي معه سيحتدم لو أنى أطلت البقاء لبضع لحظات .

(تخرج تيتانيا وأتباعها)

أوبيرون : إذهى إذن في سبيك . . غير أنك لن تتركي هذه الأكمة قبل أن أنتقم
من إهانتك إياى . . . هلم إلى يا صديقى بك . . أتذكر يوماً جلسك
فيه على جبل يمتد إلى البحر ، وسمعت حورية الماء الجالسة على ظهر
الدلفين تغنى أغنية رقيقة عذبة ، حتى لقد هدأت الأمواج الصاخبة
بتأثير غنائها ، وتهاوت بعض النجوم من مدارها مسرعة إليها لتسمع
إنشادها ؟

بك : أذكر ذلك .

أوبيرون : رأيت يوماً كيوييد (وإن لم تتمكن أنت من رؤيته) يطير بسلاحه بين

الأرض والقمر البارد ، ويصوب سهمه صوب عذراء جميلة (١) تعلى
عرشاً من عروش الغرب ، ويطلق في رشاقة من قوسه سهم الغرام ،
وكانها يهدف إلى إختراق مائة ألف من قلوب البشر . . غير أن سهم
الغلام كيوييد انطفأت ناره في أشعة القمر الطاهرة (٢) ، فتمكنت الملكة
التي نذرت نفسها لحياة العزوبة من أن تمضى قدماً ، غارقة في تأملات
العذارى ، وقد نجت من شرك الغرام .

غير أنى لاحظت وقتذاك أن سهم كيوييد وقع على زهرة صغيرة تنمو في
الغرب ، كانت من قبل بيضاء في لون الحليب ، ثم أضحت أرجوانية
بتأثير جراح الهوى . . العذارى يطلقن عليها اسم « حُب الكسالى » . .
إتنى بتلك الزهرة التى أريتك إياها في الماضى . . إن عصارتها متى
وُضعت على جفون النائمين تجعلهم (ذكوراً كانوا أو إناثاً) يهيمنون بحب
أول كائن حى يروونه عند إستيقاظهم . . أحضر لى هذه الزهرة ، وعُد إلى
بها بأسرع مما يقطع الحوت به فرسخاً في الماء .

بك : بوسعى أن أدور حول الأرض في أربعين دقيقة (٣) .

(يخرج)

أوبيرون : حتى إذا ما حصلت على عصاره تلك الزهرة ، فسأنتظر فرصة رقاد تيتانيا
للنوم ، فأضع قطرات منها في عينيها . . فإن هى إستيقظت ونظرت
حولها فستقع في غرام أول كائن تراه ، سواء كان أسداً ، أو دباً ، أو ذئباً
أو ثوراً ، أو قرداً صغيراً متطفلاً ، أو قرداً كبيراً نشطاً ، وتتبعه أينما
ذهب . . إن بوسعى أن أزيل مفعول تلك العصاره باستخدام عصاره
زهرة أخرى ، غير أنى لن أزيله عن عينيها إلا بعد أن تتنازل لى عن

(١) يقصد الملكة إليزابيث الأولى التى رفضت كل عروض الزواج منها ، وقضت حياتها دونه . ومن
المحتمل أن تكون الملكة قد حضرت أول عرض لهذه المسرحية .

(٢) إلهة القمر ، ديانا ، هى فى نفس الوقت إلهة العفة .

(٣) تمكن الإنسان من ذلك ، ودون لجوء إلى السحر ، بعد ثلاثمائة وسبعين عاماً من وقت كتابة
المسرحية .

غلامها . . . ولكن ، من ذا القادم هنا ؟ إننى جنى لا تدركه الأبصار ،
وبوسعى أن أبقى وأسترق السمع إلى الحديث .
(يدخل ديميتريوس تتبعه هيلينا)

ديميتريوس : أرجوك ألا تتبعينى ، فأنا لا أحبك . . أين ليساندر وهيرميا الحسناء ؟
فأما الأول فسأقتله ، وأما الثانية فتقتلنى . . ذكرت لى أنها تسلا
هارين إلى هذه الغابة . . وها أنا ذا وقد أصابتنى جنة بهذه الجنة إذ قد
فشلت فى العثور على حبيبتى هيرميا . . أتركينى وشأنى ولا تتبعينى .

هيلينا : إنما أنت كحجر المغناطيس الصلِّد ، تجذبنى دوما إليك . غير أنك
لا تجذب الحديد ، فقلبى كالفولاذ فى صدق هواه . . تحل عن قدرتك
على اجتذابك لى ، وستتخلى عنى القدرة على متابعتك .

ديميتريوس : هل أغريك ؟ هل أتودد إليك فى حديثى ؟ أم أئنى أخبرك بأصح
العبارات أئنى لا أحبك ولا أستطيع أن أحبك ؟

هيلينا : غير أنك حتى بهذا تزيد من نار حبى لك التهايا . . إننى بمثابة كلبة
لك ، كلما زدت ضربا لها يا ديميتريوس ، زاد تعلقها الذليل بك .
عاملنى إذن معاملتك لكلك : اركلنى ، اضربنى ، إهملنى ،
أضغنى ، ولكن لتأذن لى فقط ، رغم هوان شأنى ، أن أتبعك . .
فأئى تحل من قلبك هو أسوأ من ذلك الذى أنا شدة أن تحلنى فيه ،
وهو أن تعاملنى معاملتك لكلك ، وأنا مع ذلك راضية به كل الرضا .

ديميتريوس : لا تخاطرى بإثارة المزيد من كراهيتى لك ، فمجرد وقوع بصرى عليك
يؤلمنى .

هيلينا : أما أنا فيؤلمنى غيابك عن بصرى .

ديميتريوس : إنك إنما تعرضين سمعتك للضياع بمغادرتك المدينة ، ووضع نفسك
رهن إشارة رجل لا يجب ، وتعريض شرفك الغالى لمخاطر الليل
والملك المهجور .

هيلينا : لا مخاطر تهددنى مع رجل شريف ، ولا ليل فى عيني متى رأته وجهك
عيني . لهذا فإنى لا أحسب أن الليل قد إكتفنى ، ولا أحسب هذه
الغابة بعيدة عن الدنيا أو خالية من الناس ، لأنك الدنيا بأسرها فى
عيني وكل من أريده من الناس . فكيف يمكن إذن أن يقال إنى هنا
وحدى والدنيا بأسرها هنا تنظر لى ؟

ديميتريوس : سأعدو فرازا منك وأخفى نفسى فى الأحرش ، تاركًا إياك تحت رحمة
وحوش الغابة .

هيلينا : ما من وحش له قلب فى قساوة قلبك . . فلتمض هاربًا متى شئت
حتى تنعكس الأدوار ، فإذا بأبو لوى يهرب ودافنى تعدو فى أثره ، وإذا
الحمامة تطارد النسر ، وإذا الأيل الوديع يعدو لإصطياد النمر . . فما
جدوى السرعة إذن متى هربت البسالة من مطاردة الجبن ؟

ديميتريوس : لن أبقى هنا لأستمع إلى أسئلتك . . دعيني أذهب ، وإلا فصدقيني
حين أقول لك إنك لو مضيت فى أثرى فسألحق بك الأذى فى هذه
الغابة .

هيلينا : إنك تُلحق بى الأذى فى المعبد ، وفى المدينة ، وفى الحقل . . عار
عليك ياديميتريوس ! إذلا لك لى يجعلنى وصمة فى جبين النساء .
فالنساء لا يملكن ما يملكه الرجال من القدرة على الدخول فى معركة
من أجل الظفر بالمحبيب وتحقيق الآمال . خلقتنا لكى يتودد الرجال
إلينا لا لكى تتودد إلى الرجال .

(يخرج ديميتريوس)

سأتبعك حتى أخلق جنة من جحيم أباه ، بأن ألقى مصرعى على يد
امرى أهواه .

(تخرج)

أوبيرون : إلى الملتقى أيتها الفتاة . وأعدك بأنه قبل أن يبرح هذه الأيكة وقبل طلوع
النهار ، سيكون هو المطارِد لك وأنت اللانثدة بالفرار . .

بـك : ها هي ذى .

أوبيرون : أعطنى إياها .. ثمة صَفَّةٌ جدولٍ أعرفها ينبت فيها الزعرتر البرى والورود وزهر البنفسج الناعس ، وتظلّلها أشجار كثيفة غنية بالريحيق ، ونباتات المسك العطرة والنسرين .. هناك تنام تيتانيا بعض ساعات الليل مفترشة الأزهار وقد أنهكها الرقص واللهر .. وهناك أيضًا تطرح الثعابين عن أجسامها جلودها زاهية الألوان ، كل منها يكفى لصنع عباءة لجنية .. سأضع بضع قطرات من العصارة فى عينيها ، فإذا هي وقد راودتها أبشع الأوهام ...

خذ أنت أيضًا بضع قطرات معك ، وابحث فى هذه الأيكة عن سيدة أثينية حسناء تهيم بحب فتى يمقتها . ضع قطرات من العصارة على عينيه ، وتأكد من أن السيدة هي أول من يراه حين يستيقظ من نومه .. ستتعرف على الرجل من ثيابه الأثينية التى يرتديها .. ولكن لتحرص على أن يكون عند إستيقاظه أكثر هياما بها منها به . ثم فلتقابلنى قبل أول صباح للذبيكة .

بـك : ليظمنن قلب مولاي ، فسيوذى خادمك كل ما أمرته به .

(يخرجان)

المشهد الثانى

موقع آخر بالغابة

(تدخل تيتانيا وأتباعها)

تيتانيا : والآن إلى رقصة دائرية وأغنية من أغانى الجن ، تؤدونها فى ثلث دقيقة ثم تنصرفون ، البعض ليقتل اليرقات التى تتغذى على أوراق نبات المسك ، والبعض ليحارب الخفافيش من أجل الحصول على أجنتها الجلدية حتى نصنع منها المعاطف لصغار الجن ، والبعض ليردّ عنا اليوم المزعج الذى يصوت بالليل ويراقب فى عجب لهونا وتسليتنا .. غنّوا لى الآن أغنية حتى أنام ، ثم فليمض كل إلى عمله بينما أنال قسطا من الراحة .

(الجنيات تغتنن)

الجنية الأولى : أيتها الثعابين مشقوقة اللسان ، أيتها الأفاعى الرقطاء ، وأنت أيتها القنافذ الشائكة ، لا تظهرى هذا المساء ، ويا سمندل الماء ، وأنت أيتها العظاية العمياء ، لا نريد منكما شرًا أو فعلة خرقاء ، وإياكم جميعا أن تقربوا مليكة الجن الحسنة .

الجميع : البلابل تشاركنا فى الغناء

حتى تنام مليكتنا الحسنة :

نَنَّهُ هُو ، نَنَّهُ هُو ،

نَنَّهُ هُو ، نَنَّهُ هُو ،

لا ضرر ولا سحر ولا تعويذة

تفسد على مولاتنا نومتها اللذيذة

فانعمى إذن بليلة سعيدة

على أنغام هذه التَّهْوِيدة .

الجنية الثانية : أيتها العناكب لا تنسجى شباكك هنا

ولا تقربى بأرجلك الطويلة مكاننا

وابتعدى أيتها الخنافس السوداء عن هذا الموقع

فنحن لا نريد أذى من حشرة أو قوقع .

الجميع : البلابل تشاركنا في الغناء

حتى تنام مليكتنا الحسنة

نَنَّهُ هُو ، نَنَّهُ هُو ،

نَنَّهُ هُو ، نَنَّهُ هُو ،

لا ضرر ولا سحر ولا تعويذة

تفسد على مولاتنا نومتها اللذيذة

فانعمى إذن بليلة سعيدة

على أنغام هذه التَّهْوِيدة .

الجنية الأولى : كل شئ على ما يرام ، فلنصرف الآن

ولتبق إحدانا لحراسة المكان .

(تخرج الجنيات وقد نامت تيتانيا)

(يدخل أوبيرون فيضع عصارة الزهرة على جفניה)

أوبيرون : أول ما ترينه حين تستيقظين

ستهوينه وتعشقين

ومن لواعج حبه تعذبين .

فسواء كان ستورا أو قطا أو فهدا

أو دُبًّا من الدببة أو قردًا

أو خنزيرًا بريًا خشن الشعر دميًّا

فسترينه وقت استيقاظك حبيبا وسيما .

فلا تستيقظى إذن من نومتك

إلا وشىء بشعُ قبالتك .

(يخرج)

(يدخل ليساندر وهيرميا)

ليساندر : لا شك يا حبيبتى أن التجوال بالغابة قد أنك قواك . والحقيقة أنى قد

نسيت الطريق إلى المكان الذى نقصده . فلنسترح إن شئت يا هيرميا

بعض الوقت .

هيرميا : لنسترح إذن يا ليساندر . فلتبحث لنفسك عن فراش . أما عنى فسأرقد

على هذه الضفة هنا .

ليساندر : كومة من العشب تصلح وسادة واحدة لنا معا . . قلب واحد ، وفراش

واحد ، وصدران بهما حب حقيقى واحد .

هيرميا : أرجوك يا ليساندر ، من أجلى يا حبيبتى ، أن ترقد على مسافة منى ليست

بهذا القرب .

ليساندر : لا تشكى يا حبيبتى فى سلامة نوابى ، فها مبعثها إلا حبنا المتبادل .

وحين يتحدث المحبون ، فكل ما يقولونه يوجه العشق مجراه . . وما

عنيت إلا أننا وقد ارتبط قلبانا برباط الحب ، قد صار فى جوفينا قلب

واحد . صدراى قد ارتبطا بعهد واحد ، فهما إذن صدراى وحب حقيقى

واحد . فلا تحولى إذن بينى وبين الرقود إلى جوارك ، فالهناء يُجانبنى إن لم

أنم بجانبك .

هيرميا : جميلة تلك الألباز التى تأتى بها فى حديثك يا ليساندر . وما هيرميا بالتى

تفتقر إلى مشاعر الود والوفاء ، بحيث تقبل أن يُجانبك الهناء . غير أنى

أرجوك يا صديقى الرقيق ، من أجل حبنا ودواعى الحياء ، أن تختار

لرقادك مكانًا أبعد . فمثل هذا التباعد ، كما يقولون ، جدير بالعازب
الفاضل والعدراء . . . فارقده بعيدًا إذن ، وطابت ليلتك يا أعزَّ صديق .
وعسى ألا يتغيَّر حبُّك لي ما دمت على قيد الحياة .

ليساندر : وأنا أقول « أمين » لهذا الدعاء . وعسى أن تنتهي حياتي إن خلا قلبي
من الوفاء . . . هنا إذن سيكون فراشي ، وليجلب النوم لك الراحة
بعد العناء .

هيرميا : ومنى لمن تمنى لي الراحة نفسُ الدعاء .

(ينامان في ركنين متقابلين من المسرح)

(يدخل بك)

بـك : مضيئُ أبحث في الغابة فلم أعرثر على أثني واحد أضع في عينيه
عصارة الزهرة التي تملأ القلب بالهوى . . لا شيء غير الليل
والسكون . . من هذا ؟ إنه يرتدى ملابس الأثينيين . فهو إذن ذلك
الذي تحدث مولاي عنه وعن ازدرائه للفتاة الأثينية . . وها هي الفتاة
تغط في النوم على أرض رطبة قدرة . . المسكينة لا تجرؤ على الرقاد قرب
حبيبها الذي لا يحبها ويفتقر إلى الأدب . ففي عينيك إذن أيها الرجل
النذل أضع هذه العصارة السحرية قوية المفعول . . وإني لوائق أنك
متى استيقظت سيحول الحبُّ بين النوم وجفونك دوما بعد ذلك .
فلتستيقظ إذن بعد انصرافي من هذا المكان ، فعلى أن أقابل
أوبيرون الآن .

(يخرج)

(يدخل ديميتريوس وهيلينا تعدو في أثره)

هيلينا : توقّف يا ديميتريوس أرجوك ، واقتلني إذا شئت .
ديميتريوس : وأنا أمرُّك بالانصراف وألا تزعجيني .
هيلينا : وتركني وحدي في الظلام ؟ أتوسل إليك ألا تفعل .

ديميتريوس : أحذرك وأندرك . . لتبقى هنا وسأمضى وحدي .
(يخرج)

هيلينا : قد فقدتُ أنفاسي في هذه المطاردة الحمقاء . وكلما زادت توسلاتي زاد
ازورارُهُ عنى بوجهه . . ما أسعدك يا هيرميا حيثما كنتِ الآن ! ما
أسعدها بعينيه المباركتين الفاتنتين ! من أين لهاتين العينين بهذا
البريق ؟ لو كان بفضل ما تسكبه العينان من دموع ، فقد سكبت
عيناي من الدموع أضعاف ما تسكبه عينها . . كلا . كلا . فالحقيقة
أنى في مثل دمامة الدببة . . الوحوش تفر أمامي في فزع حين
تقابلني . . فلا غرو إذن أن يحذو ديميتريوس حذو الوحوش وأن يهرب
منى . . أية مرأة خبيثة منافقة تلك التي نظرتُ فيها فجعلتني أقارن
بين عيني وعيني هيرميا الجميلتين ؟ . . ولكن . . من هذا الرائد هنا ؟
ليساندر ! على الأرض ! ميتا أم نائما ؟ لأرى أثرًا لدماء أو جراح . .
ليساندر ! إن كنت حيًّا ياسيدي فاستيقظ .

ليساندر : (يهب واقفًا) بل وأخوض النار من أجلك يا هيلينا . . لقد حبَّبك
الطبيعة يا هيلينا بشفافية تتيح لي أن أرى القلب في صدرك . . أين
ديميتريوس ؟ هذا الإسم المقيت لإمرئٍ خليق بأن أذبحه بسيفي .

هيلينا : لا تتكلم هكذا ياليساندر ، لا تتكلم على هذا النحو . فما من
غضاضة في حبه هيرميا . (يا إلهي ! هل أقول ما من غضاضة ؟ !)
غير أن هيرميا لا تزال على حبها لك ، فاقنع بذلك .

ليساندر : ماذا ؟ أفتع هيرميا ؟ لا يا هيلينا . إنني نادم على الوقت الممل الذي
قضيته معها . . ليست هيرميا من أحب ، وإنما أحب هيلينا . وما
أنت بالمقارنة بها إلا كالحمامة بالمقارنة بالغراب . . إن العقل هو الذي
يوجه إرادة البشر ، وعقلي يوضِّح لي أنك أفضل منها بكثير . وكما أن
النباتات النامية لا تُنتج ثمرًا إلا في فصل معين ، فكذلك كنت أنا ؛
فتي غزيرًا لم ينضج ولم يُحسن التفكير حتى إكتملت رجولته . فأما وقد

نضج العقل منى فقد أخذ بعنان إرادتى ووجهها وجهة عينيك حتى أقرأ فيها أنه مامن سعادة في الحب إلا معك .

هيلينا : هل قضت الأقدار أيضًا أن أتعرض إلى هذه السخرية القاسية ؟ ماذا جنيت حتى أستحق منك مثل هذا التهكم ؟ ألا يكفينى أننى لم ألمس أبدًا ، ولن ألمس أبدًا ، عطفًا من ديميتريوس ، فإذا أنت تُقبل لتسخر من عجزى عن الظفر بقلبه ؟ قسا إنك تهيننى ، أجل ، تهيننى ، بتظاهرك ساخرًا بأنك تحببى . . ولكن ، وداعا . غير أنى أعترف بأنى كنت أحسبك في الماضى رجلاً كريماً دمث الخلق . . ألا ما أتعس المرأة التى يرفضها من تهواه ، ثم يأتى آخر ليسخر منها لهذا السبب !
(تخرج)

ليساندر : إنها لم تر هيرميا . . فلتظلى يا هيرميا في نومك ، ولا تقربى ليساندر بعد الآن . فكما أن الإفراط في تناول الطعام الشهى يؤدى بنا إلى كراهة رؤيته ، وكما أن تحوّل المرء إلى عقيدة جديدة يجعله كارهاً للقديمة التى خدعته زمنًا ، فكذا قد تحوّل حبى لك يا هيرميا إلى كراهية . . وسأكرس من الآن كل قواى وحبى وجهدى لهيلينا ، حتى أكون فارسها وتابعها الوقى .
(يخرج)

هيرميا : النجدة يا ليساندر ، النجدة ! ساعدنى في التخلص من هذه الحية التى زحفت إلى صدرى . . آه ! ما أبشعه من حلم ذلك الذى رأيته ! انظر يا ليساندر كيف يرتعد جسدى فرقا . . رأيته في منامى حية تنهش قلبى نهشا وتسلمبى إياه ، وأنت جالس تراقبها وتبتسم ليساندر ! ألسنت هنا ؟ (تنادى) ليساندر ! سيدى ! ألا تسمع ندائى ؟ أتركت المكان ؟ لا صوت ؟ لا كلمة ؟ واضيعتى ! أين أنت ؟ كلمنى إن كنت تسمعنى . كلمنى بحق حبك إياى ! يكاد يُغشى على من الخوف . . لارء ؟ فلست إذن في مكان قريب . فيما أن أجذك للتو أو أسلم نفسى لموت رهيب .

(تخرج)

الفصل الثالث

المشهد الأول
فى الغابطة
(يدخل العمال)

بوتوم : هل اكتمل جمعنا ؟

كوينس : كل شيء على ما يرام . . هنا مكان مناسب جدًا للتمرين على أداء تمثيلتنا . . ستكون هذه البقعة الخضراء مسرحنا ، وخلف هذه الشجيرة كثيفة الأغصان غرفة ملابسنا . وسنمثلها الآن كما سنمثلها أمام الدوق .

بوتوم : بيبتركوينس !

كوينس : ماذا تريد يا صديقى بوتوم ؟

بوتوم : هناك أشياء فى هذه الكوميديا عن بيراموس وثيسبى سيستاء منها البعض . أولاً : على بيراموس أن يستل سيفاً ليقتل به نفسه ، وهو أمر لا تستسيغه النساء . فما جوابك على هذا ؟

سناوت : هذا حق . قسماً إنه لأمر مخيف .

ستارفلينج : أظن من الأفضل أن نحذف من المسرحية كل أعمال القتل .

بوتوم : كلا بكل تأكيد ، فعندى حل طيب لهذه المشكلة ، وهى أن تكتبوا لى افتتاحية ألقياها ، تقولون فيها إننا لن نؤذى بسيفنا أحداً ، وأن بيراموس

لن يُقتل في واقع الأمر ، وإنما هو مجرد تمثيل . ولزيادة الإطمئنان ، نخبرهم أنني - أى بيراموس - لست في الحقيقة بيراموس ، بل بوتوم السّاح . . فمن شأن هذا أن يطمئنهم ويزيل الخوف عنهم .

كوينس : حسنا ، سنكتب مثل هذه الافتتاحية في صورة قصيدة ، بيت من ثمانية مقاطع يليه بيت من ستة مقاطع .

بوتوم : لا . أضف مقطعين ، بحيث يلي البيت من ثمانية مقاطع بيت من ثمانية مقاطع .

سناوت : ألن ترتاع السيدات لرؤية الأسد ؟

ستارفلينج : سيرتعن بكل تأكيد .

بوتوم : أيها السادة ، فكروا جيدًا في هذا الأمر . . أن نُحضر أسدًا - لا سمح الله - إلى جَمْع فيه نساء ، أمر بالغ الشناعة . فما هناك بين الدواجن المتوحشة ما هو أشد افتراسًا من الأسد الحيّ . وعلينا أن نأخذ هذا في الاعتبار .

سناوت : علينا إذن أن نكتب افتتاحية أخرى نقول فيها إنه ليس في الحقيقة أسدًا . بوتوم : بل أكثر من ذلك . علينا أن نذكر سلفًا اسم الذى سيمثل دور الأسد ، وعليه أن يكشف عن نصف وجهه أعلى رقبة الأسد ، وأن يتكلم هو نفسه من داخله ويقول أشياء من هذا القليب (١) : « أيتها السيدات ، أو « أيتها السيدات الجميلات ، أريدكن أن » ، أو « أناشدكن أن » ، أو « أتوسل إليكن ألا تخفن ولا ترتعشن . حياتي فداؤكن . فإن كنتن قد ظننتن أنى أسد حقيقى ، فإنى آسف . . كلا . لستُ بالأسد ، وإنما أنا بشر كسائر البشر » . . وعندئذ يذكر اسمه ويخبرهن صراحة بأنه سنّج النجار .

كوينس : وهو كذلك . لنفعل ما ذكرت . . غير أن هناك صعوبتين : الأولى هي

كيفية إدخال ضوء القمر إلى القاعة . فلقاء بيراموس وثيسى كما تعلمون يتم في ضوء القمر .

سناوت : هل يسطع القمر في الليلة التى ستقدم فيها تمثيليتنا ؟

بوتوم : أحضروا تقويًا . أحضروا تقويًا وانظروا فيه ما إذا كان القمر سيظهر في تلك الليلة .

(يُخرج كوينس تقويًا من حقيبتة وينظر فيه)

كوينس : نعم ، سيظهر في تلك الليلة .

بوتوم : حسنًا . بوسعكم إذن أن تفتحوا جزءًا من نافذة القاعة الكبيرة التى نمثل فيها ، ثم يسطع نور القمر من خلال هذه الفتحة .

كوينس : أو أن يدخل شخص يحمل عصيًا (١) وقنديلاً فيقول إنه قد أتى ليمثل ضوء القمر . . وهناك صعوبة ثانية ، وهى ضرورة إقامة حائط في القاعة الكبيرة . . فالقصة تقول إن بيراموس وثيسى كانا يتحادثان عبر شقّ في حائط .

سناوت : لن يسمحوا أبدًا بإقامة حائط في القاعة . . ما رأيك يا بوتوم ؟

بوتوم : يقوم شخص ما بتمثيل الحائط ، وندهنه ببعض الجِصّ أو الطين والقشّ أو تخشيشة الطلاء ، حتى يبدو كالحائط ، ثم يفرد أصابعه هكذا ، ويتهامس بيراموس وثيسى من خلال انفراج الأصابع .

كوينس : إن أمكن ذلك فكل شىء إذن على ما يرام . . هيا اجلسوا جميعًا ، كل فرد منكم ، لتتمرن على الأدوار . . لتبدأ أنت يا بيراموس حتى إذا ما فرغت من حديثك توجهت إلى غرفة الملابس خلف الشجرة ، وكذا فليفعل كل منكم وفقًا لدوره .

(يدخل بك)

(١) إشارة إلى الاعتقاد الشائع آنذاك بأن إنسان القمر يحمل عصيًا ويتبعه كلب .

(١) معنى : من هذا القبيل .

بك : من هؤلاء الأجلاف الذين جاءوا يختالون هنا بالقرب من فراش مليكة الجن ؟ يعدّون لتمثيل مسرحية ؟ سأجلس فأستمع ، وربما اشتركت أيضًا في التمثيل إن وجدت داعيًا إلى الاشتراك .

كوينس : لتبدأ بالحديث يا بيراموس ، وتقدّمى يا ثيسبى .

بيراموس : ثيسبى ، إن الأزهار الجميلة ذات رائحة خطيرة

كوينس : عطرة ، عطرة !

بيراموس : ذات رائحة عطرة كأنفاسك يا حبيبتي ثيسبى العزيزة . . ولكن ، ما هذا ؟ أسمع صوتًا ! انتظري هنا لحظة وسأعود إليك بعد قليل .

(يخرج)

بك : ذاك أغرب تشخيص رأيته هنا لدور بيراموس !

(يخرج)

ثيسبى : أجااء دورى الآن ؟

كوينس : نعم ، نعم . لتفهم أنه لم يخرج إلا لأنه سمع جلبة ، فذهب يستطلع الخبر ثم يعود .

ثيسبى : أى بيراموس الوسيم ، يا ذا البشرة البيضاء كزهرة السوسن ، فى لون الوردة البرية الحمراء على ساقها الباسقة ، أيها الفتى المقدم ، أيها اليهودى الجميل ، أصيل كأتى حصان أصيل ، لا تكلم ولا تملم . . سأقابلك يا بيراموس عند مقبرة نينى .

كوينس : عند مقبرة نينوس يا رجل ! ولكن محل هذه الجملة هو فيما بعد عندما تجيب على سؤال بيراموس . . إنك تتلو دورك كله دفعة واحدة بالإضافة إلى الإرشادات المسرحية ! (ينادى) أدخل يا بيراموس فقد جاء دورك . كان ينبغي أن تدخل بعد جملة « لا تكلم ولا تملم » .

ثيسبى : أصيل كأتى حصان أصيل ، لا تكلم ولا تملم .

(يدخل بوتوم لابسا رأس جحش يتبعه بك)

بيراموس : إن كنت جميلًا يا ثيسبى فأنا ملك يديك .

كوينس : يا إلهى ! ما أبشع منظره وأغربه ! . قد سحرتنا الجن يا سادة . فلنصل ولنهرب من هذا المكان . الغوث ! الغوث !

(يلوذ العمال بالفرار)

بك : سأتبعكم وأجعلكم تضلّون الطريق . . سأقودكم عبر المستنقعات والأدغال والأجحات والأشجار ، وسأبدو فى أعينكم تارة فى صورة حصان ، وتارة فى صورة كلب ، وتارة فى صورة خنزير ، وتارة فى هيئة دبّ لا رأس له ، وتارة فى هيئة النار ، وسأصهل وأنبج وأنخر وأزار وأحترق ، صهيل الفرس ونباح الكلب ونخر الخنزير وزئير الدببة واحترق النار ، فى كل مكان تكونون فيه .

(يخرج)

بوتوم : لماذا يفرون ؟ إنها لدناءة منهم أن يُخيفونى على هذا النحو .

(يدخل سنوت)

سنوت : آه يا بوتوم ! لقد تغيّر شكلك ! ما هذا الذى أراه قد حلّ مكان رأسك ؟

بوتوم : تسألنى ما الذى تراه ؟ ربما كنت ترى رأس الجحش الذى هو أنت !

(يخرج سنوت)

(يدخل كوينس)

كوينس : مسكين يا بوتوم يا مسكين ! لقد مسخوك .

(يخرج)

بوتوم : قد فهمتُ قصدهم الخبيث . . يظنوننى حمارًا ويريدون إخافتى إن أمكنهم ذلك . غير أنى لن أترجح عن هذه البقعة مهما فعلوا . سأتمشى هنا جيئة وذهابا ، وسأغنى حتى يسمعونى ويفهموا أنى غير خائف :

طائر الشُخُور ، أسود الريش

بمقاراه بديع الألوان ،

والصَّغُور الصغير ، بريشه القصير

وطائر الدَّجَّ عذب الألحان

تيتانيا : أرى ملاك هذا الذي يوقظني ويدعوني إلى القيام من فراشي الوردى ؟

بوتوم : العصفور وطائر الدُّورَى والقُبَّرة

وطائر الوُقُوق الرمادى بسبط الأنعام

بأغانيه التي يسمعها الأنعام

دون أن يجروا على الإعتراض

صحيح . إذ من الذى بلغ به الغباء حدَّ الدخول فى جدل مع طائر غمبيّ

كالوُقُوق ؟ ومن بوسعه أن يُكذِّب طائرًا ولو ظل ساعاتٍ يردِّد صيحه

«كوكو . . كوكو» ؟ (١)

تيتانيا : أتوسَّل إليك أيها الكائن الفانى الرقيق أن تغنى مرة أخرى . فصوتك

يفتننى كما تفتننى هيئتك الجميلة . وقد سحرنى جمالُك لدرجة أنى صرت

مضطرة إلى أن أبوح وأقسم لك أنى قد وقعتُ فى غرامك من أول نظرة

إليك .

بوتوم : إن كان غرامًا يا سيدتى فاسمحي لى أن أسالك عن دواعيه . . ومع ذلك

فالواجب أن أعترف بأن العقل والحب نادرا ما يجتمعان فى هذه الأيام .

إنه لمن المؤسف أن نرى أناسًا عقلاء يهجرون الحكمة عند اختيار من

يجبون . . ومع ذلك فبوسعى أن أكون خفيف الظل وقتها يجلو ذلك لى .

تيتانيا : إنك حكيم بقدر ما أنت جميل .

بوتوم : لا هذا ولا ذاك . ومع ذلك فإن كان لى عقل يهدينى سبيل الخروج من

هذه الغابة فسأكون مدينًا له بهذا .

تيتانيا : فلتنَّس فكرة الخروج من هذه الغابة . فأنت باقى هنا أردت ذلك أم

لم ترد . . إننى كائن غير عادى ، له وزنه وهيبته ، وفى مقدورى أن

أتحكم كما أشاء فى جوِّ الصيف . . وإذ أنى أحبُّك فلتذهب

معى ، وسأجعل من الجن خدماً لك ، يأتون لك بالجواهر من

أعماق البحار ، ويغنون لك وأنت راقد للنوم فوق الأزهار

وسأخلِّصك من كل شوائب البشر حتى تصبح جيئًا كسائر

الجن . (تنادى) زهر البسلة ، نسج العنكبوت ، وعثة ، حب

الخردل !

(يدخل زهر البسلة ونسج العنكبوت ، وعثة ، وحب الخردل)

زهر البسلة : جاهز !

نسج العنكبوت : وأنا .

عثة : وأنا .

حب الخردل : وأنا .

الجميع : إلى أين نمضى ؟

تيتانيا : أحيطوا هذا السيد بمظاهر الحفاوة والتكريم . إخلجوا أمامه فى

الطريق ، وسلِّوه برقصاتكم . . أطعموه من الشمس والتوت ،

والعنب الأرجوانى والتين الأخضر والغُلِّيق . . إسرقوا أقراص

العسل من النحل الطنَّان ، وجردُّوا أرجله من الشمع لإستخدامه

فى الإنارة فى المساء ، وأشعلوا الشمع من الأعين النارية لحشرة

سراج الليل ، حين يتوجه حبيبى إلى فراشه للنوم وحين يستيقظ .

وانزعوا من الفراشات الملوَّنة أجنحتها ، واصنعوا منها ما يحجب

أشعة القمر عن عينيه حين ينام . إنحنوا له أيها الجن وأدِّوا

واجباتكم نحوه .

زهر البسلة : تحية لك أيها الإنسان الفانى !

(١) هنا تلاعب بلفظتى Cuckoo (الوُقُوق) ، Cuckold (الدُّبُوث ، أو زوج المرأة الزانية) .

والاعتراض هنا (أو التكذيب) يعنى نفى المستمع إلى إنشاد الوُقُوق عن نفسه صفة الدُّبُوث .

فتتفرق طائرة في الفضاء كالمجنونة في كل اتجاه . وإذا أقبل الجن يهزون الأرض من تحتهم ، سقط البعض فوق البعض وهم يصيحون «إنهم يقتلوننا ! ويصرخون طالبين النجدة من أئينا . وقد أفقدهم الخوف مداركهم حتى ما عادوا يحسون بأشواك أغصان الشجر وهي تخرهم وتؤذي أبدانهم وتمزق ملابسهم ، وتنزع عن بعضهم أكمامهم وعن البعض قبعاتهم ، وعن كل فرد منهم شيئاً مما يرتديه . وقد قُدت مسيرتهم في الغابة وهم على هذه الحالة من الخوف والذهول ، تاركاً بيراموس الرقيق ممسوحاً في موقعه ، في نفس اللحظة التي استيقظت فيها تيتانيا ، فإذا هي من فورها تقع في غرام الجحش .

أوبيرون : هذا أفضل مما كان بوسعي أن أدبره . ولكن ، هل وضعت عصارة الحب في عيني الفتى الأثيني كما أمرتك ؟

بـك : وهذا أيضاً قد فرغتُ منه . . رأيتُه نائماً والمرأة الأثينية بالقرب منه ، بحيث لن يملك إلا أن يراها عند استيقاظه .

(تدخل هيرميا وديميتريوس)

أوبيرون : لنسترق السمع سرا إليهما . . هو نفس الفتى الأثيني .

بـك : هي نفس المرأة الأثينية ، غير أن الرجل غير الذي رأيتُه .

(يتتحيان جانبا)

ديميتريوس : لماذا تعتقن من يجبك كل هذا الحب ؟ هو تعنيف أُولَى أن يوجه إلى الأعداء لا إلى أصدق المحبين .

هيرميا : إن كنتُ أعفك الآن فإنك تستحق منى ما هو أسوأ من مجرد التعنيف .

ذلك أنك إنما تدفعني إلى أن أصب عليك جام لعناتي . فإن كنت قد قتلت ليساندر أثناء نومه ، ولطّخت يدك بدمه ، فهيا لطّخ يدك الأخرى بدمي أنا أيضاً . . ألا إن الشمس ليست بأشد إخلاصاً للنهار منه لي . أفيَعقل أن يكون قد تسلل هاربا مخلفاً إياي في نومي ؟

المشهد الثاني

في الغابة

(يدخل أوبيرون)

أوبيرون : ليت شعري هل إستيقظت تيتانيا ؟ وما أول شيء وقعت عيناها عليه عند إستيقاظها مما قُدر لها أن تهيم به وتعشقه كل العشق ؟

(يدخل بك)

ها هو رسولى قد جاء . ما الأخبار أيها الجنى المجنون ؟ وأية حيل خبيثة تخطط الآن لها في هذه الأيكة المسحورة ؟

بـك : سيدتى قد وقعت في غرام وحش من الوحوش ، قرب تعريشتها السرية

المقدسة . إذ بينما هي غارقة في نومها العميق ، أتت جماعة من الصنّاع الأجلاف الحمقى ممن يكسبون عيشهم في حوانيت أئينا ، واجتمعوا

ليتمرنوا على تمثيلية سيؤدونها يوم عُرس ثيسوس العظيم . . فأما أكثر هذه الجماعة الحمقاء حماقة وسطحية ، وهو الذى سيلعب دور

بيراموس في تمثيليتهم ، فقد حدث أن ترك مكان التمثيل ودلف خلف

أجمة ، فانتهزت الفرصة وألبسته رأس جحش . وقد كان عليه وقتها أن يردّ على حديث حبيبته ثيسى ، فعاد الممثل إلى مكانه . فما أن وقعت

أعينهم عليه حتى ولّوا هاربين ، فرار الأوز البرى حين يرى الصائد يزحف في إتجاهه ، أو فرار الغربان السوداء حين تسمع طلقه بندقيته ،

ما أحسبني سأصدق هذا حتى أصدق أن القمر قد اخترق الكرة الأرضية وجاوز مركزها حتى أغضب شمس الظهيرة التي تسطع على الجانب الآخر من العالم . . لا . . لا بد أنك قد قتلته ، فلك مظهر القاتل الشرس الذي يُنزل الموت بالأحياء .

ديميتريوس : بل لي مظهر القتل لا مظهر القاتل وقد أصابتنى قساوتك بطعنة نافذة في قلبي . أما أنت ، فرغم أنك قاتلتى فإنك تتألمين وتتألمين تألقت كوكب الزهرة هناك في السماء الصافية .

هيرميا : ما شأن حديثك هذا بليساندر ؟ أين هو ؟ هل بوسعك أى ديميتريوس الطيب أن تردّه إلىّ ؟

ديميتريوس : أفضل أن ألقى بجثته إلى الكلاب على أن أردّه إليك .

هيرميا : إليك عنى إذن أيها الكلب فإنك تخرجنى عن طورى وعن حدود صبر العذراء . هل قتلته إذن ؟ لو كنت قد فعلتها لما أمكن إعتبارك من اليوم في عداد البشر . . قل الصدق ولو مرة واحدة . قل الصدق ولو بحياتى عندك . إنك ما كنت لتجرؤ على النظر إليه وهو في يقظته ؛ فهل قتلته إذن وهو نائم ؟ ألا ما أشجعك ! أتيت بفعله تجرؤ عليها الحشرة والأفعى . . وقد ارتكبتها بالفعل أفعى . فما من أفعى مزدوجة اللسان لها من عضّة قوية كعضّتك أيها الثعبان !

ديميتريوس : إنها تصيبّ علىّ جام غضبك سُدى من أجل وهم خاطئ . فأنا برىء من دم ليساندر ، وهو على حدّ علمى حتى يُرزق .

هيرميا : فلتطمئننى إذن على أنه بخير ، أرجوك .

ديميتريوس : وما جزائى على هذا إن فعلت ؟

هيرميا : ستكون مكافأتك ألا ترانى بعد اليوم . وها أنا أرحل عن طلعتك المقيتة ، فلا تحاول رؤيتى مرة أخرى حيّا كان ليساندر أو ميتا .

(تخرج)

ديميتريوس : لا جدوى من المضى فى إثرها وهى فى مثل هذا المزاج الغاضب . . وسأبقى هنا إذن بعض الوقت . . إن الحزن لتشتد وطأته مع حدّة إفتقارنا إلى النوم . فلا حاول أن أخفّف بعض الشىء منه بأن أرقد هنا فى طلب النعاس .

(يرقد على الأرض)

أوبيرون : ويلي عليك ، ما الذى فعلته ! لقد أخطأت أفدح الخطأ فوضعت عصارة الحب فى عين عاشق وقي ، مما سيجعله بهجر حبيبته ، بدلاً من أن تضعها فى عين فتى آخر حتى يقع فى غرام من كان يكرهها .

بـك : وهذه هى سنّة الحياة والأقدار : فمقابل إنسان واحد وقيّ فى حبّه ، نجد مليوناً ينكرون عهد الوفاء التى قطعوها على أنفسهم .

أوبيرون : فلتمض إلى الغابة بأسرع من سرعة الريح باحثاً عن هيلينا الأثينية التى أسقّمها الغرام وذهب بحمرة خديها ، وملاً صدرها بالتنهّدات التى تسلب العروق دمه . . لتلجأ إلى حيلة تقودها بها إلى هذا المكان ، فتسحر عينيه حتى يقع فى غرامها حينها يراها .

بـك : سأمضى لتوى . . سأمضى لتوى . انظر ! ها أنا ذا أمضى بأسرع من السهم المنطلق من قوس التترى .

(يخرج)

(أوبيرون يضع قطرات من العصارة على جفنى ديميتريوس)

أوبيرون : أيتها الزهرة فى لونها الأرجوانى

ليكن لك مفعول سهم كيوبيد النارى .

لتمض عصارتك إلى مقلتيه

وحين ينظر إلى الحبيبة بعينه

فلتبد له فى أبهى الصور وأحلاها

وكأنها هى كوكب الزهرة فى غلاها .

لهيرميا؟ أفي نيتك أن تهجرها؟ إنك إن وزنتَ عهدك لها بعهدك لي لما رجحت كفةً في الميزان . فعهدك لكلينا إذن محض هراء ومحض إفك وبهتان .

ليساندر : لم أكن في وعيي حين أقسمتُ لها أنني أهواها .

هيلينا : ولا أنت في وعيك الآن إذ تقرر أن تنساها .

ليساندر : ديميتريوس لا يحبك ولا يريد سواها .

(ديميتريوس يستيقظ من نومه)

ديميتريوس : هيلينا ! أيتها الإلهة ، أيتها الحورية ، أيتها الفتاة الكاملة ، أيتها الفتاة الإلهية ، حبيبتى ، بماذا عساي أن أقارن عينيك؟ البُلُور يبدو في لون الطمى إن قورن بصفائهما . . وما أنضح شفتاك الشبيهة قُبَلتُها بقبلة حبتين من الكرز ! وحين أقارن بياض يدك بالثلوج البيضاء النقية على قمم جبال طوروس الشاهقة التي تغشاها رياح الشرق ، تبدو تلك الثلوج في لون الغراب ! فليؤذن لي بتقيل هذه الأميرة ناصعة البياض النقية ، حتى أضمن لنفسي سعادة أبدية .

هيلينا : كل هذا البؤس وهذا الجحيم ! أراكما قد إتحدتما منى هدفًا لسخرتكما .

ولو أنكما مهذبان تلتزمان حدود الأدب واللياقة ، لما رضيتما أن تؤذيانى كل هذا الإيذاء . ألا يكفيكما أن تكراهانى - وأنا أعلم أنكما تكراهانى - فأبيتتا إلا أن توحدًا جهودكما للإستهزاء بى؟ لو أنكما حقًا رجلا كما يوحي مظهركما بذلك لما عاملتتا فتاة كريمة الأصل هذه المعاملة . تعاهدان وتقسمان وتبالغان في وصف محاسنى وأنا أعلم تمامًا أنكما تكراهانى من صميم قلوبكما . . إنكما تتنافسان على حب هيرميا ، وتتنافسان الآن على السخرية بهيلينا . فما أروع من دور خليق بالرجال أن تثيرا الدمع في عيني فتاة مسكينة بسخرتكما ! دعانى أخبركما أنه ما من فتى نبيل يقبل أن يهين عذراء ويُفقد المسكينة صبرها لمجرد أن يضحك ويسلى نفسه .

فإن كانت إلى جانبك عند قيامك فتوسل إليها أن تُشفيك من لوعة غرامك .

(يدخل بك)

بـك : أئى سيدي وسيّد مملكة الجان

ها هي هيلينا تقترب من هذا المكان وعلى أثرها يأتى الفتى الذى خُدِعَتْ فيه يطلب حبّها ويشتهيّه .

فهلّا استمعنا إلى ما يقوله الأحقان؟

آه يا سيدي ! ما أشدّ حماقة الإنسان !

أوبيرون : تَنَحَّ جانبًا . فالجلبة التي سيحدثها الفتى مع فتاته كفيّلة بأن توقظ ديميتريوس من سباته .

بـك : سيكون ثمة إذن رجلا في طلب سيّدة ؛ وهي لعمري تسلية جيّدة .

فما من شىء يبهجنى على هذه البسيطة ، قدر ما تبهجنى المواقف العبيطة !

(يخرجان)

(يدخل ليساندر وهيلينا)

ليساندر : ما الذى يجعلك تعتقدن أنني أسخر منك إذ أعبّر عن حبى لك؟ إن السخرية والاستهزاء لا يجتمعان أبدًا مع دموع العين . وها أنا ذا أبكى إذ أصرّح لك بهوى . وإنه لهوى صادق ذلك الذى يعبر عن نفسه مع إمتلاء العينين بالدموع . فكيف يمكن إذن أن تحسبيني هازئًا بك وفى عيني ما يشهد على صدق مشاعرى؟

هيلينا : ها أنت تتهادى فى سخرتكم أكثر فأكثر . . فأية أغراض خبيثة تلك التى يستهدفها « الصدق » حين تنسخ عهدًا وفائلك لي عهد وفائك

ليساندر : إنها لقسوة منك يا ديميتريوس ، فلتكفّ عن هذا العبث . فأنا أعلم أنك تحب هيرميا ، وأنت تعلم أنى أعلم هذا . وها أنا أعلن هنا بمحض إرادتى ومن صميم قلبى أنى أتخلى لك عن حبّ هيرميا . فلتتخلّ أنت لى عن حب هيلينا التى أهواها وسأظل أهواها طوال عمري .

هيلينا : ما أحسب مستهزئين قد بلغوا فى إستهزائهم هذا الحد !

ديميتريوس : لتحتفظ بهيرميا ياليساندر ، فلا رغبة لى فيها . فإن كنت أحببته فى وقت من الأوقات فقد ولى هذا الحب ومضى . وما هويتها إلا لفترة قصيرة عدت بعدها لى هيلينا ، شأن الإقامة العابرة لمسافرٍ فى فندق ، يعود بعدها ليقيم دوما فى داره .

ليساندر : لا تصدّقه يا هيلينا .

ديميتريوس : لا تهزأ بوفاءٍ لا تعرفه وإلا دفعت ثمنًا غاليًا فيه . . انظر ! ها هى حبيبتك قد أقبلت . ها هى معشوقتك .

(تدخل هيرميا)

هيرميا : إن ظلمة الليل التى تحول بين عيني وبين الرؤية ، تزيد من رهافة سمعى وتشحذه . فهى إذ تسلب حاسة البصر قواها ، تضاعف من قوة حاسة السمع . . لقد عثرتُ عليك يا ليساندر ، لا بفضل عيني ، ولكن بفضل أذنى اللتين إهتديت بهما إلى مكانك . ولكن ، خبّرني ، كيف سمح لك قلبك بأن تتركنى على هذا النحو ؟

ليساندر : ولماذا يبقى من يدفعه الحب إلى الانصراف ؟

هيرميا : وأيّ حب ذاك الذى دفع ليساندر إلى مغادرتى ؟

ليساندر : الحب الذى دفعنى إلى الانصراف هو حبى لهيلينا ، تلك التى تنير الليل بأكثر مما تنيره النجوم والشهب . لماذا تأتين فى أثرى ؟ ألم يكن ذلك كافيًا حتى تعلمى أن كراهيتى لك هى التى دفعتنى إلى الانصراف عنك ؟

هيرميا : لا أظنك تقول ما تعتقده ، فهذا محال .

هيلينا : إنها شريك لهما فى المؤامرة . نعم . أرى الآن أن ثلاثهم قد اتفقوا فيما بينهم على أداء هذه التمثيلية للسخرية بى . . أئى هيرميا الشريرة ، أنت أيتها الفتاة الجاحدة ، هل تأمرت معها كى تهزءوا بى بهذه الحيلة السخيفة ؟ هل ضاعت سدى عهد الأحوّة التى قطعناها على أنفسنا ، وتبادلنا للأسرار ، والساعات الطوال التى كنا نقضيها معًا ثم نلعن بعدها إضطرارنا إلى الافتراق ؟ هل نسيت كل هذا ؟ نسيت صداقتنا أيام الدرس وبراءة الطفولة ؟

لقد كنا يا هيرميا نجلس كإلهتين حاذقتين ننسج معًا بإبرنا صورة زهرة واحدة على قماش واحد ، جالستين على وسادة واحدة ، مترنمتين فى توافق بأغنية واحدة ، وكأنا إتحدت يدانا وجانبانا وصوتانا وعقلانا فى كيان واحد . . وكذا شينا معًا ، كثمرة الكرز الجميلة المزدوجة ؛ تبدو إثنين وما هما إلا اثنتان فى واحدة ؛ لها ساق واحدة ، وفى جوفها بذرة واحدة ، وإن خيل أن لها جسمين . كنا كشعار الفارس النبيل ، عليه صورة من شطرين تجمعها شارة واحدة ، وهما فى ملك إنسان واحد . فهل تضحيتن بحبنا القديم هذا من أجل مشاركة الرجلين فى إزدرائهما بصديقتك المسكينة ؟ ليس هذا عُرف الصداقة ، ولا عُرف العذارى . وبوسعى كما بوسع بنات جنسنا جميعًا أن نؤاخذك على ما تفعلين ، وإن كنت أنا وحدى من يشعر بالمهانة .

هيرميا : كلماتك الغاضبة قد أصابتنى بالذهول . . إننى لا أهزأ بك . بل أغلب ظنى أنك أنت التى تهزئين بى .

هيلينا : ألسنت أنت التى حرّضت ليساندر على السخرية بى ، فإذا هو يتبعنى ليشيد بمفاتن عينيّ ووجهي ؟ ألسنت أنت التى دفعت حبيبك الآخر ديميتريوس الذى كان يركلنى بقدمه منذ ساعات إلى أن يدعونى بالإلهة والحورية والإلهية والنادرة والنفيسة والساوية ؟ إذ كيف يتحدث على هذا النحو لى من يكرهه ؟ ولماذا ينكر ليساندر حبّه لك ، وهو

الذى يملأ قلبه ، وييشنى حبه وهواه ، إلا برضائك وبتحريضك إياه؟
فإن كنتُ أقلَّ حظًا من الجمال منك ، ولستُ مثلكُ محبوبةً من الجميع
هنيئة العيش ، فماذنبى فى ذلك وأنا التعسة التى تهوى من لا يهواها ؟
أليس هذا أجدر بأن يثير شفقتك دون سخريتك ؟

هيرميا : أنا لا أفهم ما تعنين بهذا القول .

هيلينا : فافهمى إذن ! واصلى دعابتك وارسمى على وجهك علامات الحزن
والأسى ، وأخرجى لى لسانك حين أدير ظهرى ، وتبادلوا فيما بينكم
الغمزات ، واستمروا فى لهوكم الذى أحكمتم تدبيره ويصلح مادة
لقصة طريفة تروونها فيما بعد . ولو كان لديكم إحساس الشفقة أو
أدبٌ وحسنُ سلوكٍ لما جعلتمونى مادة لسخريتكم . . ولكن وداعًا .
فأنا مسئولة إلى حدِّ ما عما دهانى ، ولن يريحنى منكم غير العزلة أو
الموت العاجل .

ليساندر : بل ابقى يا هيلينا الرقيقة واسمعى عذرى . أى هيلينا الجميلة أى
حبي وحياتى وروحي !

هيلينا : رائع !

هيرميا : كفاك سخرية بها يا حبيبي .

ديميترىوس : إن لم يكن توصلها إليه كافيًا فبوسعى أن أجبره .

ليساندر : ليس بوسعك أن تجربنى على شىء لا تحقِّقه توصلاتها . فتهديداتك
ليست بأقوى من تضرَّعها الواهن . . هيلينا ، إنى أحبك . قسا
بحياتى أحبك ، بحياتى التى سأفقدُها الآن من أجلك لإثبات كذبه
إذ يزعم أنى لا أحبك .

ديميترىوس : وأنا أقول إنى أحبك حبًا هو أكبر مما سيكون بوسعه أن يمنحك إياه .

ليساندر : إن كان هذا قولك فهيا إلى المباراة حتى تثبت صدقك .

ديميترىوس : على الفور . . هيا .

هيرميا : ما معنى هذا ياليساندر ؟ (تتعلق به) .

ليساندر : إليك عنى أيتها الزنجية (١) !

ديميترىوس : حسنًا إذن يا سيدى ! تظاهر بأنك تحاول عبثًا الإفلات من قبضتها ،
وأنتك تريد الخروج معى إلى المباراة ولكنك لا تستطيع ! إليك عنى إذن
فأنت امرؤ جبان !

ليساندر : إليك عنى أيتها الهرة ، أيتها النبتة الشائكة ! دعينى أيتها الحقيرة وإلا
نحيتك عنى بالقوة كما أنحى الأفعى عن جسدى !

هيرميا : ما هذه الوقاحة المفاجئة منك يا حبيبي ؟ وأى تقلب هذا الذى طرأ
عليك ؟

ليساندر : حبيبيك ؟! أغربى عن وجهى أيتها التترية السمراء ، أيتها الجرعة من
الدواء كرهى المذاق . . أغربى عن وجهى !

هيرميا : أتمزح ياليساندر ؟

هيلينا : أجل هويمزح ، وأنت أيضًا تمزحين .

ليساندر : سأقى بوعدى يا ديميترىوس وأبارزك .

ديميترىوس : أريد توقيعك على هذا الكلام ، فإنى لا أثق فى وعد منك وأنا أرى
مخلوقة ضعيفة تحول بينك وبين الذهاب .

ليساندر : ماذا تريدنى أن أفعل ؟ أؤذيها أم أضربها أم أقتلها ؟ لا . فرغم أنى
أمقتها فلن ألحق بها أذى .

هيرميا : أهنالك أذى أكبر من كراهيتك لى ؟ تمقتنى ؟ لماذا ؟ وأسفاه ! ما الذى
حدث يا حبيبي ؟ ألسنتُ هيرميا ؟ ألسنتُ ليساندر ؟ إن جمالى هو كما
كان منذ ساعات . وكنت تهوانى فى الليلة الماضية ثم تركتنى . .
أفيمكن أن تكون - لا سمح الله - قد تركتنى عامدًا ، وعن قصد ؟

(١) فى الاصل : الإثيوبية ؛ إشارة إلى لون بشرتها الأسمر . وكانت سمرة الوجه فى النساء مكروهة فى
إنجلترا فى زمن شكسبير .

ليساندر : أقسم أنى تركتك عامداً وعن قصد وعن رغبة فى ألا أرى وجهك بعد الآن . فلتتخلى إذن عن كل أمل وكل تساؤل وكل شك . تأكدى من صدق ما أقول ومن أنى لا أمزح ، ومن أنى أحب هيلينا وأمقتك .

هيرميا : ويلي عليك أيتها المخادعة ! إنك لكالدودة آكلة الورد ، وسارقة الهوى . هل تسللت إليه ليلاً فسلبت قلب حبيبي منه ؟

هيلينا : إنك حقاً رائعة ! أما عندك من حياء أو خَفَر أو خجل ؟ أتريدين أن تضطرى لسانى العفيف أن يمطرك بالسباب ؟ أسفى عليك أيتها الدمية الزائفة !

هيرميا : دُمية ؟ أجل ، أجل ، هكذا تمضى اللعبة إذن ! قد فهمتُ الآن . لقد قارنتُ بين قامتها وقامتى ، واستغللت طول قامتها وسُموق عُودها فى إغرائه وغوايته . فهل ارتفع قَدْرُك عنده لأنى قزمة قصيرة القامة ؟ وما مبلغ قصرى أيتها السارية الطويلة المملّخة بالأصباغ ؟ ما مبلغ قصرى ؟ غير أنى لستُ من القصر بحيث أعجز عن الوصول إلى عينيك بأظافرى .

هيلينا : أرجوكم أياها السيدان - رغم سخرتكمما بى - أن تمنعاهما من إيذائى . فما كنتُ يوماً بالمتوحشة ولا بالمتمرّسة فى الشجار والعراك ، وما أنا إلا فتاة جبانة شأن معظم الفتيات . فلا تدعاهما تضربنى ، ولا تحسبا أنى ندّها لقصر قامتها وطولى .

هيرميا : ها هى تشير مرة أخرى إلى قصر قامتى .

هيلينا : أى هيرميا لا تغضبى هكذا منى . لقد أحبيتك دائماً يا هيرميا ، وكنت أصون سرّك ولم أوذيك قط ، إلا حين إضطرنى حبى لديميتريوس إلى إفشاء خبر فرارك إلى الغابة إليه . وقد دفعه حبه لك إلى إقتفاء أترك ، ودفعنى حبى له إلى اقتفاء أثره . غير أنه وبخنى وهددنى إن لم أتركه بالضرب والركل بل وبالملوت أيضاً . فإن أنتم تركتمونى أنصرف فى سلام عدتُ بخيبتى إلى أئينا وهجرت محاولة اللحاق بكم . دعونى أذهب ، خاصة وقد أدركتم مدى سذاجتى وحمقتى .

هيرميا : إنصرفى إذن ، هيا . من ذا الذى يمنعك ؟
هيلينا : قلبُ أحق أخلفه هنا ورائى .

هيرميا : تخلفينه مع ليساندر ؟

هيلينا : بل مع ديميتريوس .

ليساندر : لا تخشى شيئاً يا هيلينا ، فلن أدها تؤذيك .

ديميتريوس : قسماً لن تؤذيها رغم إنحيازك إلى جانبها .

هيلينا : إنها لتغدو عند الغضب كالوحش الكاسر . وكذا كانت حدّة مزاجها فى أيام الدراسة . فهى دائماً كالحَيوان المفترس رغم قصر قامتها .

هيرميا : تعودين إلى ذكر قصر قامتى ؟ لا صفة فى غير قصر قامتى ؟ هل ستركانها تهيننى على هذا النحو ؟ دعانى وإيّاها .

ليساندر : بل فلتذهبى أنت أيتها القزمة الضئيلة الهزيلة متوقّفة النمو !

ديميتريوس : إنك لشديد الإهتمام بأمر من لا يعنيه أمرُك . أترك هيلينا وشأنها ولا تذكر اسمها ولا تقف إلى جانبها . . وأقسم أنك لو نظقت بكلمة واحدة تعبر بها عن حبك لها فستدفعن ثمن ذلك . (يجرد سيفه من غمده) .

ليساندر : هى لا تحول الآن بينى وبين مبارزتك . (يجرد سيفه هو الآخر) .

فلتتبعنى إذا جرؤت حتى نرى أينا أحق بالظفر بها . (يخرج)

ديميتريوس : أتبعك ؟ بل سأمضى معك جنباً إلى جنب .

(يخرج ديميتريوس فى أثره)

هيرميا : أنت السبب أيتها الفتاة فى كل ما حدث . . قفى ! لا تتراجعى !

هيلينا : لا آمن على نفسى منك ، ولن أمكث أطول من هذا فى صحبتك اللعينة . يداك أقوى من يداى عند الشجار ، غير أن طول ساقى سيعيننى على الفرار . (تخرج)

هيرميا : إني مذهولة لا أدري ما أقول .

(تخرج هيرميا في أثر هيلينا)

(يدخل أويرون وبك)

أويرون : كل هذا نتيجة إهمالك . . إما أنك قد أخطأت أو أنك تتعمد القيام بهذه الحيل الخبيثة .

بـك : صدقتني أي ملك الجان حين أقول إنه مجرد خطأ وقعت فيه . ألم تقل لي إني سأتعرف على الرجل من ثيابه الأثنية ؟ فأنا برىء إذن إذ وضعت العصارة في عيني فتى أثني . غير أنني مع ذلك سعيد أن أرى الأمور وقد اتخذت مجراها هذا ، وأن أجد في شجارهم فيما بينهم تسليمة عظيمة .

أويرون : الفتيان العاشقان ، كما ترى ، يبحثان عن مكان يتبارزان فيه . . فيها أسرع إذن يا رويين ، فزد من حلقة الليل البهيم ، وغط نجوم السماء بضباب كثيف في سواد الحجيم ، وإجعل المتناقسين الحانقين يضلان الطريق ، فلا يلتقي أحدهما بالآخر وجهها لوجه . فليتقمص لسائك حيناً صوت ليساندر ، فتثير بسخريتك نائرة ديميتريوس ، ثم فليتقمص صوت ديميتريوس فتثير نائرة لساندر ، ثم فلتبعد كلا منهما عن موقع الآخر حتى يغشاها نوم كالموت ، فيغلفها بجناحي الحفاش ويطأ جفونها بقدميه الثقيلتين . . ثم فلتضع عصارة هذا النبات في عين ليساندر ، وهي القادرة على إزالة أثر الخطأ الذي ارتكب وإعادة مُقلتيه إلى حالهما القديم . وحين يستيقظون من نومهم سيحسبون كل ما حدث من الشجارات منا ما وأضغاث أحلام . عندئذ يعود العشاق إلى أثينا وقد ربطت بينهم أواصر تبقى قائمة معهم حتى الموت . . وفي أثناء قيامك أنت بهذه المهمة التي كلفتك بها ، سأتوجه أنا إلى ملكتي أسألها أن تعطيني غلامها الهندي ، وأحرر عينها من ربة عشق ذلك الوحش القبيح ، فتعود بذلك كل الأمور إلى نصابها الصحيح .

بـك : ولا بد من الإسراع بكل هذا يا مولاي الجنتي ، حيث أن ظلمات الليل تتراجع سريعاً وتنحسر ، وأشعة الصباح على وشك الظهور ، فتضطر الأشباح الهائمة هنا وهناك إلى التقهقر والعودة إلى مدافن الكنائس . وقد آبت بالفعل إلى قبورها المليئة بالذود كل الأرواح الملعونة المدفونة عند تقاطع الطرق أو في أعماق البحار^(١) ، خشية أن يطلع عليها نور النهار فيفضحها . فهي دائماً تتوارى بنفسها عن الضوء ولا تخرج أبداً إلا في ظلمة الليل .

أويرون : أما نحن فأرواح من صنف آخر ، نعشق النهار ولا نهأه ، ولنا ما لساكُن الأحراش من حق في التجوال أينما شئنا ، حتى إن إمتلاء الأفق في الشرق بأشعة مباركة نارياً الحمرة ، يراها ينبتون إله البحر فيحوّل ماء الأخضر المالح إلى ذهب سائل أصفر اللون . . ومع هذا فعلينا أن نسرع بتنفيذ ما استقر عليه القرار ، فقد نجح في إنجاز مهمتنا قبل طلوع النهار .

(يخرج)

بـك : هنا وهناك ، هنا وهناك ،

سأقودهما هنا وهناك ،

وأربك منها الخطو والعقول ،

أنا الذي يخشونني في المدن والحقول ،

سأقودهما هنا وهناك .

(يدخل ليساندر)

ها هو أولهما .

(١) يقصد بالأرواح الملعونة أرواح أهل الحجيم . وقد كان المنتحرون يدفنون في عصر المؤلف عند تقاطع الطرق لا في فناء الكنيسة . كما كان ثمة اعتقاد بأن الغرقى في البحار قد قُدر لأرواحهم أن تظل هائمة على الدوام لا تعرف راحة أو رقاد .

ديميترىوس : إن كانت لديك الجرأة فانتظرنى . فأنا أعلم أنك تعدو أمامى وتراوغنى
متنقلا من مكان إلى مكان ، دون أن تجرؤ على التوقف لمواجهةى ..
أين أنت الآن ؟

بـك : هنا . تعال إلى هنا .

ديميترىوس : إنك تسخر منى ، وستدفع ثمن ذلك غاليا متى رأيت وجهك فى
ضوء النهار . فلتمض الآن لشأنك .. التعب يضطرنى إلى الرقود هنا
فى هذا الفراش البارد .. فانتظرنى إذن عند مطلع الشمس .

(يرقد فى ركن آخر)

(تدخل هيلينا)

هيلينا : يالك من ليل مُنهك طويل ثقيل ! هلا قَصَّرت من ساعاتك !؟

فلتشرق الشمس بدفنتها وراحتها من الشرق حتى أعود إلى أثينا فى
ضوئها ، تاركة خلفى قوما لا يجوننى . وعسى النوم الذى يهدئ
أحيانا من سؤرة الحزن أن يزورنى حتى أنسى ذاتى بعض الوقت .

(ترقد للنوم فى ركن ثالث)

بـك : ثلاثة حتى الآن ؟ لابد من رابع حتى يكون ثمة من كل زوجين إثنان ..
آه ! هاهى مقبلة ، حزينه وفى غضب شديد . ألا ما أخبت ذلك
الصبى كيوييد ! أهكذا يُفقد النساء المسكينات صوابهن ؟

(تدخل هيرميا)

هيرميا : لم أخبر فى حياتى مثل هذا التعب ولا مثل هذا الشقاء . قد بللنى الطل
ومزقت الأغصان ثيابى .. لا طاقة لى على المشى ، وما بوسعى أن
أمضى قُدما . وساقى أضعف من أن تطيعا هواى .. سأستريح هنا
حتى يطلع النهار . ووقى الله ليساندر من شر الشجار .

(ترقد فى الركن الرابع)

ليساندر : أين أنت يا ديميترىوس المتغطرس ؟ تكلم حتى أسمعك .

بـك : هنا أيها الوغد . سئفى فى يدي ومستعد للنزال .. أين أنت ؟

ليساندر : سأكون عندك لتوى .

بـك : فلتبغنى إذن إلى أرض أكثر استواء .

(يخرج ليساندر)

(يدخل ديميترىوس)

ديميترىوس : تكلم يا ليساندر مرة أخرى .. تكلم أيها الهارب الجبان .

ألذت بالفراغ ؟ تكلم ! أورا أجمه أنت ؟ أين أخفيت رأسك ؟

بـك : أتفخر بنفسك أيها الجبان بمشهد من النجوم ، وتوهم الأشجار بأنك
تطلب النزال وأنت لا تجرؤ على القدوم ؟ هيا أيها الجبان الطفل حتى
أؤدبك بعصاى ، فما من رجل يشرفه أن يُشهر عليك سيفه !

ديميترىوس : أنت هناك ؟

بـك : إتبع صوتى ، فمكاننا هذا غير صالح للمبارزة .

(يخرج جان)

(يدخل ليساندر)

ليساندر : يسبقنى وينادى على يتحدانى . وحين أصل إلى مكان صوته لا أجده
فيه . لا شك فى أن الوغد أسرع حُطى منى ، إذ مهما أسرع فى أثره
فهو يسبقنى . وقد خارت قواى من وعورة الطريق فى الظلام .
فلأسترح هنا حتى يهبل على النهار .

(يرقد للنوم فى أحد أركان المسرح)

حتى إذا ما ظهر ضوء الشمس ، بحثت عن ديميترىوس حتى أجده
وأشفى غليل منه .

(يدخل بك وديميترىوس)

بـك : هو هو هو ! لماذا لا تأتبنى أيها الجبان ؟

بـك : على الأرض تنامون

ريثما أضع عصارة الحُبِّ في العيون .

وحين تستيقظون

ستسعدون وتطربون

لمرأى من كتتم بالأمس تعشقون .

وكما يقول المثل عن النصيب

كل امرئ قد قَدَّر له حبيب

وهو ما سيُنْبُت بالتأكيد لكم

لحظة إستيقاظكم من نومكم

حين يعود كل منكم إلى هواه

فيشلع قلبه بنيل مناه .

(يخرج)

الفصل الرابع

المشهد الأول

فى الغابة

(العشاق الأربعة راقدون فى نومهم - تدخل تيتانيا وبوتوم مع أتباعهما من الجن ، بينما يراقبهم أوبيرون دون أن يروه)

تيتانيا : تعال ، فلتجلس هنا على هذا الفراش من الزهور ، حتى أتحسس خديك الجميلين ، وأضع ورود المسك فى رأسك الناعم الأملس ، وأقبل أذنيك الكبيرتين الرائعتين يا بهجة حياتى ومنأى .

بوتوم : أين زهر البسلة ؟

زهر البسلة : هنا .

بوتوم : اهرش لى رأسى يا زهر البسلة . . وأين المسيو نسج العنكبوت ؟

نسج العنكبوت : هنا .

بوتوم : مسيو نسج العنكبوت ، خذ سلاحك فى يدك يا مسيو ، واقتل لى

نحلة طنّانة حمراء الخضر تقف على نبات شائك ، واحضر لى

قرص العسل يا مسيو ، ولكن حذار من أن ينكسر القرص . إنى

أسف إذ أسألك أن تحمل ما قد لا تكون لك طاقة به يا سنيور . .

ولكن ، أين المسيو حبّ الخردل ؟

حبّ الخردل : هنا .

بوتوم : هات يدك أصافحك يا مسيو حب الخردل ، ولا داعى لكل هذه الانحناءات يا مسيو .

حب الخردل : بم تأمر ؟

بوتوم : لا أطلب منك يا مسيو سوى أن تساعد الفارس نسج العنكبوت في الهرش (١) . إني في حاجة إلى حلاق يا مسيو ، ففى ظنى أن شعر لحيتى قد نما نموًا فظيغًا . وما أنا إلا جحش رقيق ، إن دَعَدغنى الشعر فلا بدّلى من الهرش .

تيتانيا : أترغب فى سماع الموسيقى يا حبيبي الجميل ؟

بوتوم : لا بأس ، فلدىّ أذن موسيقية . فليحضروا المصَفِّقات والمُخَشِّشات (٢)

(عزف على المصَفِّقات والمخَشِّشات)

تيتانيا : قل لى يا حبيبي أىّ الأطعمة تشتهي ؟

بوتوم : حبذا زكية من الشوفان المجفّف الممتاز . كما أشتهى بعض الثيّن الجيد الذى لا يعلوه طعام فى الدنيا .

تيتانيا : فى خدمتى جنيّة جريئة بوسعها أن تسطو على ذخيرة السنجاب من البندق الطازج وتحضرها لك .

بوتوم : أفضل عليه حفنة أو حفنتين من البسلة المجففة . . غير أنى أشعر برغبة عامرة (٣) فى النوم قد إنتابتنى ، ورجائى أن تطلبى من رعاياك ألا يزعجونى .

تيتانيا : لتنم إذن ، وسأطوّقك بذراعى . . انصرفوا أيها الجن عتًا ، وتفرّقوا فى كافة الاتجاهات .

(يخرج الجن)

أطوّقك بذراعى فى حنان كما تطوّق العسفة شجرة صريمة الجدى ، أو كما يطوّق اللبلاب جذع شجرة الدردار وفروعها . . أه ما أعظم حبي لك وإفتاننى بك !

(يدخل أوبيرون وبك)

أوبيرون : أهلاً بك يارويين . تفرّج على هذا المنظر الجميل ! لقد بدأت أشفق عليها من جنونها وحققتها . . قابلتها منذ قليل خلف الغابة تبحث عن هدايا ثمينة تقدّمها لهذا الأبلّة الكريه ، فوبّختها وتشاجرت معها . . كانت قد وضعت على رأسه المشعر إكليلًا من الزهور النضرة العطرة . أما قطرات الطلّ التى تتجمّع على البراعم وتكبر حتى تبدو أحيانًا كلالئ الشرق ، فقد رأيتها وقتند فى عين الزهر الجميل كالدموع تنهمر أسفا على حماقة تيتانيا . . . وعندما عنفتها بها فيه الكفاية ، وشرعت هى فى رفة تطلب منى أن أكفّ ، سألتها أن تنازل لى عن غلامها المسروق ، فتنازلت لى على الفور عنه ، وبعثت بجنيّة لتحضره لى تعريشتى فى مملكة الجن . . وإذ بات الغلام الآن لى ، فسأزِيل عن عينها ذلك الوهم الكريه . . . وعليك الآن يا بك أن تنزع رأس الجحش عن هذا العامل الأثينى ، حتى إذا ما استيقظ مع استيقاظ الآخرين ، عادوا جميعًا إلى أثينا وفى اعتقادهم أن كل ما حدث هذه الليلة ليس إلا أضغاث أحلام مزعجة .

(يضع قطرات من العصارة فى عينى تيتانيا)

غير أنى سأبدأ بإزالة الوهم عن ملكة الجن :

عودى إذن إلى ما كنت عليه منذ حين

وانظرى بالعين التى كنت بها تُبصرين

(١) لا شك فى أن شكسبير أخطأ هنا فكتب « نسج العنكبوت » بدلًا من « زهر البسلة » ، الذى كلّفه بوتوم بهرش رأسه .

(٢) عصيّ من عَظْم مسطّح يُمسك بها العازف بين أصابعه لإحداث الأنغام ، وتستخدم لحث الأنعام على السير .

(٣) يقصد عامرة .

وسيكون بالحفل هؤلاء العشاق الأوفياء ، الذين سيعقد قرائهم في نفس الوقت مع ثيسوس ، في جو من الحبور والإنشراح .

بـك : صه يا ملك الجن فإني أسمع صوت قبرة الصباح .

أوبيرون : فلتنسحب إذن أي مليكتي في صمت مع إنحسار ظلمات الليل . وإنه لبوسعنا أن ندور حول كوكب الأرض بأسرع من دوران القمر في مداره .

تيتانيا : هيا يا مولاي . ولتختبرني أثناء إنصرافنا كيف حدث أن وجدتني هذه الليلة راقدة على الأرض مع هؤلاء الأدميين الفانين .

(ينصرفون)

(صوت أبواق . يدخل ثيسوس وهيوليتا وإيجيوس مع أتباعهم)

ثيسوس : فليذهب أحدكم ليبحث عن حارس الغابة . . قد فرغنا الآن من الطقوس (١) . وما دام النهار كله أمامنا فلأنعم مع حبيبتى برحلة صيد . أطلقوا سراح كلابنا بالوادي الغربي . أسرعوا ، وإبحثوا عن حارس الغابة . . أما نحن يا مليكتي الجميلة فسنرقى قمة الجبل ونستمع هناك إلى إختلاط نباح الكلاب مع أصداؤه .

هيوليتا : كنت ذات مرة مع هرقل وكادموس في إحدى غابات جزيرة كريت ، حين حاصرت كلابهم الإسبرطية دبا من الدببة . . سمعتُ يومها نباحاً لم أسمع مثيلاً له من قبل ، نباح رددته الأجمات والسماء والنافورات وكل بقعة قريبة من المكان ، فاختلطت الأصدااء في صرخة قوية واحدة ، أو هي الموسيقى النشاز أو قصف الرعد الرخيم . .

ثيسوس : كلابي هي أيضاً من سلالة إسبرطية ، عظيمة الفكين ، رملية اللون ، ولها أذنان تنفضان بهما ما هبط عليهما من طلّ الصباح ، وأرجل مقوسة ، وجلد يتهدّل من عنقها شأن ثيران ثيساليا ، بطيئة في عدوها ،

(١) طقوس قديمة يجتمع العشاق بمقتضاها ليراقبوا مطلع الفجر في عيد أول مايو .

وها هي زهرة ديانا تبطل مفعول زهرة كيوبيد إذ لها لعمري تأثير قوي ومفعول أكيد (١) .

والآن فلتستيقظي يا تيتانيا ، أي ملكتي الجميلة .

تيتانيا : حبيبي أوبيرون ، أية أحلام تلك التي رأيتها في منامي . تخيل إلى أي قد وقعت في غرام جحش .

أوبيرون : وها هو حبيبيك يرقد هنا .

تيتانيا : كيف حدث هذا ؟ ألا ما أبشع وجهه الآن في عيني !

أوبيرون : أصبري هنيهة . . رويين إخلع عنه هذه الرأس . وأنت يا تيتانيا عليك بالموسيقين . . نريد عزفاً يُنسى هؤلاء الخمسة (٢) ما حدث لهم .

(صوت موسيقى هادئة)

(ينزع بك رأس الجحش عن بوتوم)

بـك : لتتظّر عند استيقاظك بعيني الأحق الذي كنته من قبل .
أوبيرون : نريد الآن موسيقى الرقص !

(تتحول الموسيقى الهادئة إلى موسيقى الرقص)

هيا يا مليكتي ، فلتتشابك أيدينا ، ولنهزّ برقصنا الأرض التي يرقد عليها هؤلاء النيام .

(يرقصان)

قد عدنا الآن إذن إلى حبنا القديم . وسنرقص غدًا عند منتصف الليل في الاحتفال بمنزل الدوق ثيسوس ، ونباركه وندعو له بالخيرات . .

(١) القطرات التي يضعها أوبيرون في عيني تيتانيا هي من عصارة زهرة تباركها ديانا إلهة العفة ، ولها القدرة على إزالة الغشاوة عن أعين المحبين . فديانا هي عدوة كيوبيد الذي يوقع الناس في شرك الغرام ، فتأتي ديانا لتخلصهم منه .

(٢) يقصد العشاق الأربعة بالإضافة إلى بوتوم .

غير أن بناحها مختلف الطبقات ، ذو عذوبة لا نلمسها في بناح كلاب كريت أو إسرطة أو ئيساليا . . . ولتحكمى بنفسك حين تسمعيه . . . ولكن ، صة! أى جنّ يرقد هنا ؟

إيجيوس : مولاي ، هذه إبنتى نائمة هنا ، وهذا ليساندر ، وهذا ديميتريوس ، وهذه هيلينا إبنة نيدار العجوز . ليت شعري كيف التقوا معا في هذا المكان ؟

ئيسوس : لا بدّ أنهم استيقظوا في ساعة مبكرة للاحتفال مثلنا بمطلع الفجر وأداء طقوس عيد أول مايو ، وأن يكونوا قد علموا بنيتنا الخروج فجاءوا للإستقبالنا . . . ولكن ، خبرنى يا إيجيوس ، أليس اليوم هو اليوم المحدد لإدلاء هيرميا برّدها وقرارها ؟

إيجيوس : أجل يا مولاي .

ئيسوس : لتطلب من الصيادين أن يوقظوهم بصوت أبواقهم .

(صوت أبواق - يستيقظ العشاق من سباتهم)

نعم صباحكم أيها الأصدقاء . لقد إنقضى عيد القديس فالتين منذ أمد بعيد (١) ، وأنتم تبدأون سفادكم الآن؟! أى نوع من طيور الغابة أنتم؟!

ليساندر : عفواً يا مولاي .

ئيسوس : هبوا جميعاً واقفين . . أنا أعلم أنكم عدوّان متنافسان . فكيف حدث إذن أن توافقتما بحيث تسمح الكراهية والغيرة لمتنافسين بأن يرقدا جنباً إلى جنب دون أن يحشى كل منهما جانب الآخر ؟

ليساندر : أجييك يا مولاي وأنا في حيرة من أمرى وبين النوم واليقظة . ومع ذلك فأكاد أقسم أنى لا أعلم كيف جئت إلى هنا . إنه الصدق ما أقول ، غير أنى قد بدأت الآن أتذكر أنى . . . نعم ، أنى جئت إلى هنا مع

(١) عيدٌ يُحتفل به يوم ١٤ فبراير من كل عام ، ويقال إن الطيور فيه تختار أزواجها في موسم التناسل .

هيرميا . وكان قصدنا أن نترك أثينا إلى مكان لا سلطان لقوانينها عليه ، وأن

إيجيوس : يكفى هذا يا مولاي . . . في قوله ما فيه الكفاية . . . فلتنزل به العقوبة الواردة في القانون . . . كانا يا ديميتريوس يعترزمان الفرار حتى يفسدا عليك وعلى خططنا ، بأن يجرمنا من الزوجة ، ويجرمانى من حقى في الموافقة ، موافقتى على أن تكون إبنتى زوجة لك .

ديميتريوس : مولاي . لقد أطلعتنى هيلينا الجميلة على سرّ إعترزامها الهرب ، ونبتهما التوجّه إلى هذه الغابة . وقد تبعتهما إليها وأنا في غضب شديد ، وتبعتنى هيلينا الجميلة لحيّها لى . . . غير أنى يا مولاي لا أعلم أى قوة تلك - فلا شك أن ثمة قوّة ما - تلك التى تسببت في أن يذوب حبي هيرميا كما تذوب الثلوج ، بحيث يبدو لى هذا الحب الآن كذكرك دُمية لا جدوى منها كنت أحبّها في طفولتى أشدّ الحب . . أما وفائى وهوأى . ومصدر سعادتى وهنائى ، فهيلينا وحدها . لقد كنتُ يا مولاي خطيبها قبل أن أرى هيرميا . وكما أن المرء في حال مرضه قد يكره هذا الطعام أو ذاك ، حتى إذا ما إستردّ عافيته عاد إلى إشتهائه ، فكذا الحال معى . قد بتّ أشتهيها وأهواها وأشتاق إليها ، وسأكون وقتاً لها إلى أبد الأبدين .

ئيسوس : وإنه لمن حسن الطالع أن نقابلكم هنا أيها العشاق الأوفياء .

ستحدث في هذا الأمر فيما بعد بتفصيل أوفى . . إيجيوس ! لنكن لإيرادتى اليد العليا لا إرادتك . ففى المعبد سيحتفل هؤلاء بزواجهم وقت إحتفالى بزواجى . وحيث أن الصباح قد إنقضت الآن منه عدة ساعات ، فلن نقوم برحلة الصيد المعتزمة . فلنعد معا إلى أثينا : ثلاثة رجال وثلاث حسناوات ، يشتركون جميعاً في أجل الاحتفالات .

(يخرج ئيسوس وهيبوليتا وإيجيوس وأتباعهم)

ديميتريوس : قد اختلطت عندى أحداث الليلة الماضية وأحداث الصباح كما تمتزج الجبال البعيدة بالسحب في السماء .

المشهد الثاني

منزل كوينس في أثينا

(يدخل كوينس ، وفلوت ، وسناوت ، وستار فلينج)

كوينس : هل بعثتم أحدًا إلى منزل بوتوم ؟ هل عاد إلى داره ؟

ستار فلينج : لم يسمع أحد خبرًا عنه ، ولا شك في أنه قد مُسَخ .

فلوت : إن لم يعد ذهبت تمثيلتنا أدرج الرياح . فنحن لن نمثلها إن هو لم يعد ، أليس كذلك ؟

كوينس : لا . لن يكون ذلك بالإمكان . فما من رجل واحد في أثينا كلها له قدرة بوتوم على أداء دور بيراموس .

فلوت : معك حق . فالرجل يتمتع بعقل لن تجد نظيرًا له بين العمال في أية صناعة في أثينا .

كوينس : أجل . ولا نظير أيضًا لشخصيته أو صوته . إنه نموذجٌ مُحْتَرَى .

فلوت : تقصد « نموذج يحتذى » . فنموذج يحتذى ، ولا مؤاخذه ، خطأ .

(يدخل سنج)

سنج : أيها السادة ، قد ترك الدوق المعبد ومعه إثنان أو ثلاثة من الأزواج قد

عقدوا قرانهم هم أيضًا . لو كنا قد مثلنا تمثيلتنا أمامه لطارت شهرتنا في الآفاق .

هيرميا : يبيأ لي أني إننا انظر إلى هذه الأمور من خلال ضباب كثيف ، بحيث يبدو كل شيء مزدوجًا في عيني .

هيلينا : وكذا الحال معي . . فأنا إننا عثرت على ديميتريوس عثوري على جوهرة لا أدري أهي لي أم لا .

ديميتريوس : أواثقون أنتم من أننا أيقاظ ؟ يبدو لي وكأننا نحن لا نزال في نومنا نحلم . . هل كان الدوق هنا حقًا وطلب منا أن نتبعه ؟

هيرميا : أجل ، وكان والدي معه .

هيلينا : وهيبوليتا أيضًا .

ليساندر : وأمرنا أن نتبعه إلى المعبد .

ديميتريوس : فنحن أيقاظ إذن ! لننتبهه ، وليقتص كل منا أثناء الطريق ما رآه من أحلام . (يخرج العشاق)

بوتوم : (يستيقظ من نومه) نادوا عليّ حين يجي دوري وسأجيب . سأجيب

حين تقول نيسبي « أي بيراموس الوسيم » . . هاى ! هو ! بيتر

كوينس ! فلوت يا مصلح المنافع ! سناوت يا سمكري ! ستار فلينج !

يا إلهي ! تسللوا من المكان وتركوني نائمًا ! . . رأيت في منامي أعرب

حلم في الوجود . حلم لن يكون بوسع مخلوق أن يفسره ، والجحش

وحده الذى سيدعى القدرة على تفسيره . . . حلمت أني . . . شيء

لن يدور بخلد إنسان . . حلمت أني وحلمت أن لي . . .

غير أن الأحق وحده هو الذى سيدعى معرفة ما كان لي . . فما

سمعت عين إنسان ، ولا رأت أذن إنسان ، ولا ذقت يد إنسان ،

ولافهم لسان إنسان ، ولا تكلم قلب إنسان ، بمثل ما رأيته في

النام . . . سأطلب من بيتر كوينس أن ينظم قصيدة غنائية عن هذا

الحلم ، وسنسُميها « حلم بوتوم » ، فهو حلم لا فعر له ولا قاع (١) .

وسأغنى القصيدة في الجزء الأخير من التمثيلية أمام الدوق . وربما

غنيتها لحظة وفاة نيسبي حتى تكون لها مناسبة . (يخرج)

(١) تعنى كلمة بوتوم بالإنجليزية القعر أو القاع .

فلسوت : أسفى عليك يا بولى بوتوم ! لولا إلغاء التمثيلية لأمرؤا لك بستة بنسات عن كل يوم مدى الحياة . فالمؤكد أنه كان سينالها ، وليس إسمى فلوت إن لم يكن من المؤكد أن الدوق كان سيأمر له بستة بنسات عن كل يوم مدى الحياة ، مكافأة له على أدائه دور بيراموس . وكان الرجل حقاً يستحقها . إما ستة بنسات أو لا شىء مقابل أداء دور بيراموس .

(يدخل بوتوم)

بوتوم : أين أنتم يا رجال ؟ أين أنتم يا أصدقاء ؟

كوينس : بوتوم ! ألا ما أسعده من يوم ! ألا ما أسعدها من ساعة !

بوتوم : آه يا ساده ! لددى قصة ملئها العجب العُجاب . ولكن لا تطلبوا منى أن أرويا لكم . ولعنة الله على إن أنا رويتها لكم . ومع ذلك فسأرويها لكم ، وبكل تفاصيلها ، وكما وقعت بالضبط .

كوينس : هيا ازوها لنا يا بوتوم العزيز .

بوتوم : لن أنطق بكلمة . كل ما سأقوله لكم هو أن الدوق قد فرغ من عشائه . فهيا إجمعوا ملابس التمثيل ، وخبوطا قوية لتركيب اللحى فى الوجوه ، وأربطة جديدة لنعالكم ، ولتقابل لتوتا عند القصر . وليراجع كل فرد منكم دوره . فخلاصة القول أن تمثيلتنا قد وقع عليها الاختيار . وعلى أى الأحوال فلا بد لثيسبى من ملابس نظيفة . وليحذر من سيقوم بدور الأسد من أن يقلم أظافره ، فهى التى سيرزها باعتبارها مخالب الأسد . ورجائى الحار أيها الممثلون الأعزاء أن تمتنعوا عن أكل البصل والثوم . فأنفاسنا ينبغى أن تكون لذيدة الرائحة أثناء الإلقاء ، حتى نسمعهم يقولون إنها كوميديا لذيدة . . ثم لا كلام بعد هذا فهيا بنا إذن . هيا !

الفصل الخامس

المشهد الأول القصر في أثينا

(يدخل ثيسوس ، وهيوليتا ، وفيلوسترات ، وبعض الأتباع)

هيوليتا : ما أغرب ما يرويه هؤلاء العشاق من حديث !

ثيسوس : غرابته أشد من صدقه . فليس بوسعى أن أصدّق هذه الخرافات القديمة أو هذه الأحاديث الساذجة عن الجن . إن للعشاق والمجانين عقولاً متهيّجة ومخيلات غريبة تمكّنهم من رؤية ما لا يراه العقل الهادئ . فالمجنون والعاشق والشاعر لهم نفس الصنف من المخيلة . أحدهم يرى من الشياطين ما ليس بوسع الجحيم أن يحتويه ؛ وهذا هو المجنون . أما العاشق - وهو في مثل تهيّجه - فقد يرى جمالاً كهليلين في وجه عجزية من مصر . وأما الشاعر فهو في نوبات جنونه ينقل بصره من السماء إلى الأرض ، ومن الأرض إلى السماء ، فتصوّر له مخيلته أشكال أشياء غير معروفة أو مألوفة ، ويستطيع بقلمه أن يجسدها وأن يخلق من لا شيء شيئاً يُسمّيه . وللمخيلة القوية حيّلها ؛ فهي إن توقّعت سعادة خالت هذا الشخص أو ذاك قد جاء إليها بالخبر السعيد . وإن توقّعت شراً كان من السهل عليها أن ترى في الليل في كل شجرة دّباً مفترساً !

هيوليتا : غير أن إجماعهم على رواية أحداث الليل على نحو واحد ، ومرورهم جميعاً

بنفس التجربة يشهدان على أن بالأمر أكثر من مجرد أوهاام ، وأنه حقيقة رغم غرابته المذهلة .

(يدخل ليساندر وديميتريوس وهيرميا وهيلينا)

ثيسيوس : ها هم العشاق قد أقبلوا وقد غمرتهم السعادة والفرح .. غمر الله قلوبكم أيها الأصدقاء الأعزاء بالحبور ، ومدّ في أيام حبكم .

ليساندر : وشمل قصرك ومنتزهاتك ومآدبك وفراشك بسعادة يفوق قدرها قدر سعادتنا .

ثيسيوس : والآن ، أية تسلّيات أو تمثيلات أو رقصات قد تم إعدادها لنا حتى نقطع الساعات الثلاث الطويلة ما بين العشاء ووقت النوم ؟ أين المشرف على تنظيم الاحتفالات ؟ أية تسلّيات قد أعدت ؟ أما هناك من تمثيلية تخفّف من وطأة عذاب الساعات المتبقّية ؟ نادوا فيلوسترات .

فيلوسترات : هنا أي ثيسيوس العظيم .

ثيسيوس : خبّرنا بتسلّيات هذا المساء . أسيكون هناك رقص ، أم موسيقى ؟ أم ثمة تسلية أخرى تزيل إحساننا ببطء مرور الوقت ؟

فيلوسترات : ها هي قائمة بما أعدّ من تسلّيات . فلتختر سموك ما تريدنا أن نبدأ به .

ثيسيوس : (يتناول القائمة منه ويقرأ) « الحرب مع القنطور : (١) أغنية يغنيها خصي أثيني على أنغام القيثارة » . . . لا نريد هذا ، فقد سبق أن رويت لحبيبتى هذه القصة عن أمجاد قريبي هرقل . . . (يقرأ) تمرد السكارى من تابعات باخوس (٢) ، وكيف مزقن إربا في سورة غضبهن مغنيا من إقليم ثراسيا » (٣) . . . قد شاهدنا هذا من

(١) القنطور : كائن خرافي نصفه رجل ونصفه فرس .

(٢) باخوس : إله الخمر .

(٣) ثراسيا : إقليم في الجنوب الشرقي من البلقان . والمقصود بالمغنى هنا هو أورفيوس .

قبل عند عرضه بعد عودتى ظافراً من طيبة . . . (يقرأ) « إلهات الفنون التسع ينعين اختصار الثقافة التي توفيت مؤخرًا في حال من الفقر والإملاق » . . . لابد أنها إحدى السخريات اللاذعة الناقدة مما لا يليق بحفل زفاف . . . (يقرأ) « منظر ممل قصير عن بيراموس الشاب وحبيبته ثيسى ، وهى كوميديا مأساوية للغاية » . . . ما هذا ؟ كوميديا ومأساوية ؟ مملة وقصيرة ؟ إنه الجليد الساخن إذن ، والتلج اللافح ! كيف نفهم هذا اللغو غير المفهوم ؟

فيلوسترات : هناك بالفعل تمثيلية يا مولاي من عشر كلمات ، هى أقصر ما عرفته من تمثيلات . وهى مع ذلك أطول من اللازم بعشر كلمات ، وهو ما يجعلها مملة . إذ ليست بالمرحبة كلها كلمة ذكية واحدة ، ولا ممثل مناسب لدوه . . . هى مأساوية بالفعل أى مولاي النبيل ، فيراموس فيها يقتل نفسه ، وهو منظر ما شاهدته والممثلون يتمرتون عليه حتى إغرورقت عيني بالدموع . ولكنها دموع الضحك والفهقهات العالية مما لم يخبر الناس لها مثيلاً !

ثيسيوس : ومن هم الممثلون فيها ؟

فيلوسترات : عمالّ حُشِنو الأيدى يعملون هنا في أثينا ، ممن لم يفكروا في تشغيل عقولهم حتى اليوم . غير أنهم الآن قد شحذوا ذاكرتهم غير المدربة حتى يقدّموا هذه المسرحية في الاحتفال بزفافك .

ثيسيوس : سنسمعها منهم .

فيلوسترات : لا يا مولاي أرجوك . إنها لا تليق بك . لقد حضرتها فوجدتها محض هراء . . . عبث ولغو . . . هذا ما لم تكن بك رغبة في السخرية مما بذلوه من جهد شاق في حفظ أدوارهم وأدائها من أجل تمثيلها أمامك .

ثيسيوس : سأستمع إلى تلك المسرحية . إذ لاغضاضة من شىء نابع عن براءة وإخلاص وإحساس بالواجب . أحضرهم هنا . . . ولتأخذ السيدات أماكنهن .

(يخرج فيلوسترات)

هيوليتا : لا أطيع منظر البسطاء يحاولون القيام بها لا طاقة لهم به عن مجرد إحساس خاطئ منهم بالواجب .

ثيسيوس : ولكنك يا حبيبتى لن تشاهدى شيئاً من هذا القبيل .

هيوليتا : يقول إنهم لا يفهمون شيئاً في باب التمثيل .

ثيسيوس : سيكون فضلنا إذن مضاعفاً إن نحن شكرناهم على شيء لا قيمة له ، وستكون متعنتاً في تقبل أخطائهم بصدر رحب . فالإنسان النبيل إنما يحكم على عرض من هذا النوع على ضوء الجهد الذى بذل فيه لا القيمة الحقيقية له . . . أذكر أنني عند وصولي ، علمت أن بعض العلماء أعدوا لاستقبالى خطباً بذلوا في كتابتها جهداً كبيراً . فما وقفوا لتلاوتها أمامي حتى إرتعدت أبدانهم وشحبت وجوههم ، وصاروا يتوقفون في منتصف الجمل وقد عقدت الرهبة ألسنتهم ، ويتلعثمون في نطق ما أتقنوا إعداده ، ثم إذا هم يتوقفون تماماً دون إتمام خطب الترحيب . . . صدقيني يا حبيبتى حين أقول إنني لمست حينئذ الترحيب حتى في سكوتهم ، ولمست في تلثمهم الناجم عن رهبة أداء الواجب نية طيبة لا ألسها في خطبة طنانة يلقيها خطيب جرىء بليغ . ولذا فإنني أعتقد أن الكلمات النابعة عن المحبة والإخلاص هي التي تصل إلى القلب حتى إن تلثم قائلها في النطق بها .

(يدخل فيلوسترات)

فيلوسترات : مولاي ، مُقدّم التمثيلية مستعدّ للبدء .

ثيسيوس : دعه يدخل .

(صوت أبواق - يدخل كوينس لإلقاء المقدمة)

كوينس : إن نحن أخطأنا أو ضايقتنا أحدًا فهذا قصدنا . نوضح لكم أملنا أن تثقوا في أننا لم نقدم . لنضايقتكم وإنما عن حسن نية . لإظهار مواهبنا المتواضعة ، هذه هي غايتنا الحقيقية . فثقوا إذن أن الغرض الحقيقي

من قدومنا وما قدومنا . للاستخفاف بكم وإهانتكم هو إرضائكم . ولإدخال السرور إلى قلوبكم لسنا هنا . لإشعاركم بالندم على مشاهدة تمثيلتنا الممثلون جاهزون⁽¹⁾ . وستفهمون من تمثيلهم كل المعاني التي قصدها المؤلف .

ثيسيوس : هذا الرجل لا يُلقى بالا على الإطلاق إلى ترقيم الجمل .

ليساندر : كان في قراءته للمقدمة كالمهر الساذج لا يدري أين ينبغي أن يتوقف . والمغزى من ذلك يا مولاي أنه لا يكفي المرء أن يتكلم ، بل المهم أن يتكلم جيدًا .

هيوليتا : لقد قرأ مقدمته كما يعزف الطفل على الفلوت : أصوات ولا موسيقى .

ثيسيوس : كان حديثه كسلسلة الحديد المتشابكة المعقدة : لم يلحقها ضررٌ وإن صعب حلها . . . من يأتي بعده ؟

(يدخل بيراموس وثيسبي والحائظ وضوء القمر والأسد)

كوينس : قد تتساءلون أيها السيدات والسادة الكرام عن موضوع تمثيلتنا . . . فلتتساءلوا كما يعنّ لكم حتى يتضح لكم مغزاها ومجراها .

فإن شئتم معرفة اسم هذا الرجل ، فإسمه بيراموس . أما هذه السيدة الجميلة فالمؤكد أنها ثيسبي . وهذا الرجل الذى يعلو ملابسه الجير وتحشينة الطلاء فيمثل الحائظ ، ذلك الحائظ الشرير الذى كان يفصل ويفرق بين الحبيين ، والذى كان المسكينان قانعين بالتحادث عبر شق

(١) في استخدام كوينس للنقط والفواصل اضطراب شديد يفسد المعنى وقد يعكسه . والترقيم الصحيح للنص هو كالتالي :

« إن نحن أخطأنا أو ضايقتنا أحدًا ، فهذا قصدنا نوضحه لكم : أملنا أن تثقوا في أننا لم نقدم لنضايقتكم ، وإنما ، عن حسن نية ، لإظهار مواهبنا المتواضعة . . . هذه هي غايتنا الحقيقية . فثقوا إذن أن الغرض الحقيقي من قدومنا ، (وما قدومنا للاستخفاف بكم وإهانتكم) هو إرضائكم ، ولإدخال السرور إلى قلوبكم . . . لسنا هنا لإشعاركم بالندم على مشاهدة تمثيلتنا . . . الممثلون جاهزون » .

فيه . فحدّث إذن ولا حرج . أما هذا الرجل الذى يحمل القنديل
وحزمة من العصي ويتبعه كلب ، فيمثل ضوء القمر . ذلك أن
العاشقين كانا يلتقيان في ضوء القمر عند مقبرة نينوس حتى يبيث كل
منهما للأخر هواه . . أما هذا الحيوان الرهيب فهو الأسد . هو الأسد
الذى أخاف ثيسبى حين خرجت إلى الموعد ليلاً . وإذ فرّت من
الأسد ، سقطت منها عباءتها أثناء الفرار فجاء الأسد ولوّث العباءة
بفمه الدامى . . ثم يأتى بيراموس ، ذلك الشاب الودود طويل
القامة ، يرى عباءة ثيسبى ملطخة بالدماء ، فيحسب أن الأسد
إفترسها ، ويطعن صدره الحزين بسيفه الدموى في شجاعة عظيمة .
وبعد أن انتظرتة ثيسبى بعض الوقت تحت شجرة توت ، عادت إليه
فوجدته صريعاً فاستلّت خنجره وانتحرت به . . . غير أنى سأترك
الآن العاشقين والحائط وضوء القمر والأسد ليصوّروا لكم الأحداث
بالتفصيل .

(يخرج الجميع فيما عدا الحائط الذى يمثله سنوت)

ثيسبوس : تُرى هل سيتكلم الأسد ؟

ديميتريوس : إن كانت هذه الحمير تتكلم يا مولاي فلا عجب أن يتكلم الأسد .

الحائط : في هذه التمثيلية القصيرة أَلعب أنا ، وإسمى الحقيقي سنوت ، دور
الحائط . وفي هذا الحائط - كما قيل لكم - حُرْم أو شق يتحدّث عبره
المحبّان ، بيراموس وثيسبى ، ويتهايمان بأسرارهما . أما هذا الجير
وتخشينة الطلاء على ملابسى ، وهذه الحجرة في يدي ، فتوضّح أنى
الحائط المشار إليه . وأما هاذان الإصبعان المنفرجان في يدي فيمثلان
الشق الرهيب الذى حدّثتكم عنه ، والذى يتهايم عبره العاشقان
الوجلان .

ثيسبوس : أكنتم تتوقعون مثل هذه الفصاحة من جير وتخشينة ؟

ديميتريوس : إنه لأفصح حائط سمعته في حياتى يتكلم يا مولاي .

ثيسبوس : ها هو بيراموس يقترّب من الحائط . . سكوت !

(يدخل بيراموس الذى يمثله بوتوم)

بيراموس : أيها الليل البهيم ! أيها الليل حالك الظلمات ! أيها الليل الذى يعقب
النهار ! أه منك يا ليل ، أه منك ، أه منك . إنى لأخشى أن تكون
ثيسبى قد أخلفت وعدها . . وأنت أيها الحائط ، أيها الحائط الطيب
الجميل الذى تفصل بين أرض أبيها وأرض أبى ! أنت أيها الحائط ،
أيها الحائط ، أيها الحائط الطيب الجميل ! أين الشقّ فيك حتى انظر
بعينى من خلاله ؟ شكراً أيها الحائط المهذّب ، وعسى أن يحسن الله
جزاءك على هذا المعروف . ولكن ، من ذا هناك ؟ لا . ليست
ثيسبى . أيها الحائط الشرير الذى لا يريد لى الهناء . ملعونة أحجارك
تلك التى غرّرت بعينى !

ثيسبوس : ما دام الحائط قادراً على التعبير عن نفسه ، فمن واجبه أن يرّد على هذه
الإهانة .

بيراموس : لا يا مولاي ، ليس من حقه أن يرّد الآن . فجملة « غرّرت بعينى » هى
الإشارة لثيسبى بالدخول . ستدخل الآن فألمحها من خلال الحائط .
وسترى يا مولاي بنفسك أن هذا بالضبط هو ما سيحدث . . ها هى
ذى قد أقبلت .

(تدخل ثيسبى التى يمثّل فلوت دورها)

ثيسبى : أيها الحائط ! مراراً وتكراراً سمعت أنينى وشكواى من أنك تفصل بين
حبيبى الوسيم بيراموس وبينى . . لطالما قبلتُ أحجارك بشفتى
الشبهتين بالكرز ، تلك الأحجار المدهونة بالجير وتخشينة الطلاء .

بيراموس : أرى صوتاً . . سأمضى لتوى إلى الشق حتى أسمع وجه ثيسبى . . .
ثيسبى ؟

ثيسبى : حبيبى ! . أظن المتكلم حبيبى .

بيراموس : ظنّني كما شئت . فأنا حبيبك الذي يياثل وفاؤه وفاء ليماندر .

ثيسبى : وسأظل إلى الموت وفيه لك وفاء هيلين لحبيبتها .

بيراموس : ما كان وفاء شفالوس لبروكروس كوفائي لك .

ثيسبى : ووفائي لك كوفاء شفالوس لبروكروس (١) .

بيراموس : قبليني عبر الحُرْم في هذا الحائط اللعين .

ثيسبى : ما أراني قبلتُ غير شق الحائط لا شفتيك .

بيراموس : قابليني إذن للتو عند مقبرة نيني .

ثيسبى : سأتحدى الحياة والموت وأقابلك لتوى .

(يخرج بيراموس وثيسبى)

الحائط : وهكذا أكون ، أنا الحائط ، قد أدت دورى . وإذ انتهى هذا الدور فإن الحائط يتسلل خارجًا .

(يخرج)

ثيسبوس : قد زال الحائط إذن بين الدارين .

ديميتريوس : المشكلة لا تزال قائمة يا مولاي . فما دامت للحيطان آذان فسيظل

بوسعها أن تسمع أسرارها حتى من على بعد .

هيبوليتا : لم أر في حياتي ما هو في سخافة هذه التمثيلية .

ثيسبوس : ما خير التمثيليات إلا خيال زائف ، وما أسوأها بأسوء من خيرها متى إستعان المتفرج بمخيّلاته لإكمال نقص الأداء .

هيبوليتا : هي مخيّلتك إذن التي يُعتدُّ بها لا مخيّلته الممثلين .

ثيسبوس : ولو كان رأينا فيهم كرايمهم في أنفسهم كحلّناهم رجالاً عظاماً . . .

وهذان وحشان آخران قد أقبلا . . رجل وأسد .

(يدخل الأسد ، ويمثله سُنج ، وضوء القمر ، ويمثله ستار فلينج)

الأسد : أيتها السيدات ، يا من تنفطر قلوبهن الرقيقة من الخوف لرؤية أصغر

فأر متوحش يجرى على الأرض ، قد تنزعجن الآن هنا وترتعد أبدانكن

حين تسمعن زئير الأسد المفترس الغاضب . غير أنى أبادر فأطمئنكنم ،

فأنا سناوت النجار ، ألعب دور أسد فتاك . . أسد لا مجرد لبوة .

وفتاك لو أنى صارعتُ أحدًا هنا ، لغدا المنظرُ لعمري مخيفًا رهيبًا .

ثيسبوس : وإنه لعمري أسدٌ رقيقٌ للغاية ، وذو ضميرٍ حيّ .

ديميتريوس : ألطف أسد شاهدته في حياتي يا مولاي .

ليساندر : كمثل الثعلب في شجاعته .

ثيسبوس : وكمثل الأوزة في حكمتها .

ديميتريوس : لا يا مولاي . فالشجاعة لا يمكنها أن تطفى على الحكمة كما يطغى

الثعلب على الأوزة .

ثيسبوس : والمؤكد عندي أن الحكمة لا يمكنها أن تنهض بعبء الشجاعة ، كما

لا يمكن للأوزة أن تنهض واقفة والثعلب يعتليها . . ولكن كفى . .

فلنترك كل هذا لحكمته ، ولنستمع الآن إلى القمر .

ضوء القمر : هذا القنديل يمثل القمر ذا القرنين (١) .

ديميتريوس : كان من الأفضل لو أنه لبس على جبينه القرنين .

ثيسبوس : ما هو بالهلال ، وإنما هو بدر قد اختفت قرونه في محيط دائرته .

ضوء القمر : هذا القنديل يمثل القمر ذا القرنين . وأما عنى فأمثل إنسان القمر .

ثيسبوس : هذه أكبر غلطة في التمثيلية حتى الآن . فإن كان هو إنسان القمر ،

فالواجب أن يكون داخل القنديل لا خارجه .

ديميتريوس : هو لا يجزؤ على الدخول ، فالشمعة فيه موقدة ، إن دخل أطفأها .

هيبوليتا : قد سئمت هذا القمر وبدأت أدعو أن يغيب .

(١) يعنى الهلال .

(١) اختلط الأمر على بيراموس وثيسبى . فالقصد هنا هم ليماندر (لا ليماندر) وحبيبته هيرو (لا هيلين) ، وسيفالوس (لا شفالوس) وحبيبته بروكريس (لا بروكروس) . كما ظنت ثيسبى أن شفالوس هو المرأة .

ثيسوس : على أى حال فإن ذكائه المحدود يوحى بأنه على وشك الأفول .

ومع كل هذا فإن دواعى الأدب تلزمننا بالبقاء حتى النهاية .

ليساندو : واصل حديثك يا قمر .

ضوء القمر : كل ما على أن أقوله هو أن هذا القنديل يمثل القمر ، وأنى أمثل

إنسان القمر ، وهذه العصى هى عصيتي ، وهذا الكلب كلبى .

ديميتريوس : كل هذا ينبغي أن يكون داخل القنديل ، فكلمها فى القمر . . ولكن ،

صه !فها هى ثيسبى تدخل .

(تدخل ثيسبى)

ثيسبى : ها هى مقبرة نينى . فأين حبيبى إذن ؟

الأسد : (يزأر) أووو .

(ثيسبى تلوذ بالفرار)

ديميتريوس : حسنا زارت يا أسد .

ثيسوس : حسنا عدوت يا ثيسبى .

هيوليتا : حسنا سطعت يا قمر . . أقسم أنه يسطع فى رشاقة بديعة .

(يعض الأسد عباءة ثيسبى)

ثيسوس : حسنا عضت يا أسد .

ديميتريوس : ثم يأتى بيراموس .

(يخرج الأسد)

ليساندر : وهكذا يختفى الأسد .

(يدخل بيراموس)

بيراموس : أيها القمر الجميل ، إنى لشديد الإمتنان لإرسالك هذه الأشعة

الشمسية . . أشكرك أيها القمر على ما تسطع به الآن من ضوء باهر ،

إذ سيمكنتنى هذا الضوء الكريم الذهبى المتلألئ من رؤية وجه ثيسبى

فى وضوح وجلاء .

ولكن ما هذا ؟ ياللهول ! انظر أيها الفارس المسكين ،

تطلع إلى هذا المنظر المفجع الأليم .

أترأه عيناك ؟ كيف حدثت هذه المصيبة ؟

آه يا بطتى ! آه أيتها الحبيبة !

عباءتك الجميلة البيضاء

أراها ملطخة بالدماء .

تعالى يا أرواح الثأر ، وأنت أيتها الأقدار

واعصفى عصفا بالشريرين والأبرار .

إسمعى وعسى

دمرى واقمعى

كسرى واسحقى

هشمى واحرقى .

ثيسوس : هذه العاطفة القوية وموت صديق عزيز قد يثيران فى المرء إحساسا

يشبه الحزن .

هيوليتا : أقسم أنى قد بتت أشفق على الرجل .

بيراموس : لم خلقت الأسود أيتها الطبيعة

وقد قتل الأسد الشرير حبيبتى الوديعة ؟

فتاة هى - لا ، لا ، بل فتاة كانت أجمل الفتيات ،

عاشت وأحبت وهوت ووجهها تملوه البسات . .

فيضى أيتها الدموع ، وتعال أيها السيف البتار

فاظعن صدر بيراموس ، هنا ، إلى اليسار

حيث يخفق القلب . . . وهكذا أموت .

هكذا . . هكذا . . هكذا . .

والآن قدمت وفارقت روحى الجسد

صاعدة إلى السماء . . فليغب ضوء اللسان ،

وليسكت القمر عن الكلام .

(يخرج ضوء القمر)

والآن أموت ، أموت ، أموت ، أموت ، أموت .

(يموت)

ديميتريوس : وهكذا يموت ، بسيفه الصّموت (١) .

ليساندر : وصار بموته نسيًا منسيًا بسبب ذلك الوحش .

ثيسوس : أنستدعى الطبيب ليعالج هذا الجحش ؟

هيوليستا : كيف يخرج ضوء القمر قبل أن تعود ثيسبي وتعر على حبيبها ؟

(تدخل ثيسبي)

ثيسوس : ستجده على ضوء النجوم . . ها هي ذى ، وبالتعبير عن ألمها تنتهى التمثيلية .

هيوليستا : لا أظنها في حاجة إلى إطالة نعيها لمثل هذا الممثل ، وآمل أن يكون تعبيرها عن ألمها مختصرًا .

ديميتريوس : ليس يوسع أحد أن يقول أيها كان في التمثيل أفضل ، بيراموس أم ثيسبي : فييراموس الرجل كان مصيبة ، وثيسبي المرأة كانت كارثة رهيبة .

ليساندر : ها هي وقدرات بعينها الجميلتين جثته .

ديميتريوس : وستلول بالبكاء ، كما سترون .

ثيسبي : أنائم أنت يا حبيبي ومهجتي ؟

أم أنك ميّت يا هامتي ؟

قم يا بيراموس ، تكلم ، تكلم .

مالك صامت كالأبكم ؟

أميّت أنت ؟ إذن فلا بدّ من مقبرة عميقة

تُخفى هاتين العينين الجميلتين عن أعين الخليقة .

وداعا إذن لهاتين الشفتين في لون أزهار التسوسن البيضاء ،

ولهذا الأنف في لون حبات الكرز الحمراء ،

ولهذين الخدين الصفراوين في لون زهر الربيع .

وداعا وداعا ، أيها الرجل البديع .

إبكوا أيها العشاق ، من فتیان وفتيات ،

وإندبوا عينيه الخضراوين في لون الكرات .

وتعال إلى أيها القدر الرهيب

ويديك الشاحبتين في لون الحليب

أغرقتي في بحر من الدماء القانية

بعد أن قضيت على حياة حبيبي الغالية . .

لا تنطق بكلمة أيها اللسان المجنون ،

وتعال إلى صدرى أيها السيف الخنون .

وداعًا إذن أيها الأصدقاء

ويا أيها الخلان الأوفياء

وانظروا ثيسبي تنهار وتتداعى

وتقول : وداعًا ، وداعًا ، وداعًا .

ثيسوس : وبقي ضوء القمر والأسد للقيام بدفن الموتى .

ديميتريوس : أجل . والحائط أيضًا .

بوتوم : لا ياسادة ، فقد أزلنا الحائط الذى كان يفصل بين دارى أبويهما . .

والآن ، هل تأذنون لنا بتلاوة الخاتمة ، أم تفضلون مشاهدة رقصة

إيطالية يؤديها إثنان من أعضاء فرقنا ؟

(١) السيف الصّموت : الباتر .

المشهد الثاني

مكان آخر بالقصر

(يدخل بك)

بـك : أما وقد هبط الليل فقد عاد الأسد الجائع يزأر

وعاد الذئب ينبح القمر

وها هو الفلاح وقد أنهى عمل اليوم

يُصدر الشخير أثناء النوم

والمدفئة قد خمد وميض جمراتها

ويومة الليل تطلق صرخاتها

فتجعل المريض في سهاده

يفكر في القبر وفي معاده .

قد هبط الليل والقبور إنشقت

والأرواح من جوفها قد خرجت

وفي ممرات فناء الكنيسة إنتشرت .

أما نحن الجن فنعدو إلى جوار الخيل

التي تحبّ عربية مليكة الليل

هاربين من الشمس نريد الظلام

ثيسوس : لا داعى للخاتمة ، أرجوك . فتمثيليتكم ليست في حاجة إلى الإعتذار، ولا إعتذار إن كان الممثلون كافة قد ماتوا وأضحى من المحال معابثهم . . . ولو أن كاتب هذه المسرحية كان قد قام بدور بيراموس ، وشنق نفسه برباط ساق ثيسوى ، لكانت المسرحية تراجيديا ممتازة . . . وهى ممتازة بالفعل ، وقد أحسنتم أداء أدوارها . هيا إعرضوا رقصتكم إذن ، وانسوا أمر الخاتمة .

(رقصة إيطالية ، يخرج بعدها بوتوم والعمال)

ها قد بلغنا منتصف الليل ، وهو الوقت الذى يختاره الجن للظهور . فليمض العشاق إلى فراشهم . ولا شك فى أننا سنستيقظ فى ساعة متأخرة من الصباح حيث أننا قد أطلنا السهر . كما أنه لا شك فى أن هذه التمثيلية الرديئة الحمقاء قد ساعدتنا على إحتفال بطء ساعات الليل . . . فهيا إذن إلى الفراش أيها الأصدقاء الأعزاء . وسنحتفل على مدى أسبوعين بزيجاتنا السعيدة ، فنقضى الليالى فى احتفالات شتى وتسليات جديدة .

(يخرجون)

ترتع فيه كما ترتع الأحلام .
ولن نسمح لفأر أو لإنسان
بأن يزعج هذه الدار التي باركها الجان .
وقد أرسلوني بمكنسة أكنس بها التراب
ثم أكوّمه أكوامًا خلف الباب .
(يدخل أوبيرون وتيتانيا وأتباعهما)

أوبيرون : أضيئوا يا صغار الجن بشموعكم الدار
بعد أن انطفأت في مدافئها النار .
واحجلوا واقفروا في خفة الطيور
في تنقلها بين الأغصان والزهور
وشاركوني في غناء أنشودة بديعة
ترقصون على أنغامها بخطى سريعة .

تيتانيا : احفظوا أولا كلماتها
ورددوا نغماتها
ولتتأسك أيدينا
إذ ننشد أغانيها
وبرشاقة الجان
نبارك هذا المكان

(يغنون أغنية)

أوبيرون : ليظف كل منكم في أنحاء الدار
حتى مطلع النهار
ولنبداً بالدوق وعروسه ندعو لهما بالخيرات
واليمن والبركات
ولنسألها المنتظر بالخط السعيد

والعمر المديد .
وللأزواج الثلاثة في سعدهم
بأن يكون الوفاء دوماً طابع حبّهم .
سائلين يد الطبيعة أن تُعفى أولادهم
من الوخات التي تشوّه أجسادهم
مثل الشفاه المشقوقة والندوب والشامات السوداء ،
مما يُحزن الآباء رؤيته في الأبناء .
تفرقوا إذن ، وانفضوا بواجباتكم
مستخدمين هذا الطلل في مباركاتكم .
لا تتركوا غرفة واحدة من الغرفات
دون أن تُغرقوها بالدعوات
وادعوا لصاحب الدار بالسرور
وبالسعادة والخير والحبور .
هيا إذن وأسرعوا أيها الصغار
وقابلوني عند مطلع النهار (١) .
(يخرج الجميع عدا بك)

بـك : (يخاطب الجمهور)

إن لم تكن التمثيلية قد حظيت برضائكم
فرجائي الحار من جمعكم
أن تتخيّلوا أنكم كنتم هنا نياماً
وأن ما شاهدتموه كان رؤى وأحلاماً

(١) ليذكر القارئ ما سبق أن ورد بالمقدمة من أن شكسبير ألف هذه المسرحية كي تمثل أثناء حفل زفاف . وواضح أن الداعي والعروسين مقصودون بهذه الدعوات .

ويليام شكسبير

١٥٦٤ - ١٦١٦

المسرحيات

١٥٩٩	٢٠- كما تحب	١٥٩٢	١- تيتوس أندرونيكوس
	٢١- زوجات ويندسور	١٥٩٢	٢- هنرى السادس (الجزء الأول)
١٦٠٠	المرحات	١٥٩٢	٣- هنرى السادس (الجزء الثانى)
١٦٠٠	٢٢- ترويلوس وكريسيديا	١٥٩٢	٤- هنرى السادس (الجزء الثالث)
١٦٠١	٢٣- همלט	١٥٩٢	٥- ريتشارد الثالث
١٦٠١	٢٤- الليلة الثانية عشرة	١٥٩٣	٦- كوميديا الأخطاء
١٦٠٤	٢٥- دقة بدقة	١٥٩٣	٧- ترويض السليطة
١٦٠٤	٢٦- عطيل	١٥٩٤	٨- سيدان من فيرونا
١٦٠٤	٢٧- الأمور بخواتيمها	١٥٩٤	٩- خاب مسعى العشاق
١٦٠٦	٢٨- مكبث	١٥٩٤	١٠- روميو وجوليت
١٦٠٦	٢٩- الملك لير	١٥٩٥	١١- رتشارد الثانى
١٦٠٧	٣٠- أنطونيو وكليوباترا	١٥٩٥	١٢- حلم ليلة فى منتصف الصيف
١٦٠٧	٣١- تيمون الأثينى	١٥٩٦	١٣- الملك جون
١٦٠٧	٣٢- كوريو لانوس	١٥٩٦	١٤- تاجر البندقية
١٦٠٨	٣٣- بيريكليس	١٥٩٧	١٥- هنرى الرابع (الجزء الأول)
١٦١٠	٣٤- سيمبيلين	١٥٩٨	١٦- هنرى الرابع (الجزء الثانى)
١٦١١	٣٥- قصة الشتاء	١٥٩٨	١٧- جمعجة بلاطحن
١٦١١	٣٦- العاصفة	١٥٩٩	١٨- هنرى الخامس
١٦١٣	٣٧- الملك هنرى الثامن	١٥٩٩	١٩- يوليوس قيصر

واعتبروا موضوعها التافه الهزيل
فى مقام الحلم ، قدره ضئيل .

فلا تلومونا أيها السادة الكرام ، وغضوا الطرف عنها

وإن غفرتم لنا جئنا لكم بعدها بخير منها .

فإن كان الحظ هذه المرة قد خان

فإنى أقسم لكم بشرف الجان

أنا كى نتلافى أنياب الثعابين والنقد المرير

سنقدم تمثيلية أفضل بعد زمن قصير .

فإن لم تفعل فسمونى بك الكذاب الأثيم .

طابت ليئتك إذن أيها الجمهور الكريم .

وإن خلصت يئتكم تجاهنا فلا بأس من تصفيق

وسنصلح من شأننا ، مخافة أن نبقى بغير صديق .

(يخرج)